الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأنساق الثقافية في رواية " السراب " لنجيب محفوظ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبين :

محمد البشير التجاني

أمين طراد

إشراف الدكتور:

يوسف بديدة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
ميداني بن عمر	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي–	رئيسا
يوسف بديدة	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي–	مشرفا ومقررا
صلاح ياسين	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي–	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي : 1442/1441 هـ – 2021/2020 م

الإهداء

الحمد لله الموفق لكل خير . المعين لنا لإنجاز هذا الجهد المبذول في سبيله

سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا

ونصلي ونسلّم على من بعث للناس سراجا منيرا .

وأهدي هذه الباكورة الفكرية :

إلى أغلى ما في الحياة . البحر الدفّاق حنانا وحبا .

أبي وأمي

وإليكِ شريكة حياتي ورفيقة دربي . زوجتي الغالية

وأروع مَن جسَّدَ معاني الحب والتفاني والعطاء والصبر أهدي هذا البحث

إليكم أولادي النبات الطيب ومصابيح حياتي .

إليكم أساتذتي الكرام منابع العلم ، ومعادن المعرفة .

وأخص بالإهداء إياك أستاذي الدكتور

يوسف بديدة

وأخوتي وكل أقاربي .

إليكم زميلاتنا وزملائنا في الدراسة من نحمِل لهم الإعجاب والتقدير.

إليكم جميعا ، ومن أعماق الفؤاد

نهدي هذا العمل .

أسأل الله أن يفيد به الغير وينتفع به .

محمد البشير

الإهداء

إلى أمي الحبيبة التي طالما وقفت بجانبي وضجعتني في أفراحي وأحزاني .

إلى أبي الذي كافح من أجلي حتى وصولي هذه المحطة الرائعة في حياتي وسهر على سعادتي .

إلى كل من ساندني وشجعني سواء أكان صديقا أو حبيبا وأخص بهذا الإهداء الصديق والحبيب فتحي رزقة الذي أنار دربي بنصائحه .

إلى كل الزملاء الذين درست معهم وكانت معهم ذكريات رائعة وجميلة وأخص بالذكر زميلي في المذكرة الأستاذ محمد البشير التجاني الذي كان أخا لي قبل أن يكون زميلا .

كما أهدي هذا العمل لرموز الأدب العربي في جامعة حمه لخصر بالوادي وأخص بالذكر الدكتور العملاق يوسف بديدة الذي كان له الفضل في نجاح هذا العمل .

وأختم هذا الإهداء إلى كل من يحمل لقب طراد .

أمين

المقدمة

نجيب محفوظ ذلك الكاتب المصري الذي تجاوزت شهرته العالم العربي ليصبح بفكره وإنتاجه أديبا عالميا . أثرى المكتبة العربية برواياته ، وحتى العالمية ، وأخذ إنتاجه حيزا كبيرا من اهتمام النقاد والدارسين ، وتناول رواياتِه الكثيرُ من الباحثين دراسة وتحليلا ونقدا . إنه نجيب محفوظ الذي افتك جائزة نوبل للأدب عام 1988 م. بامتياز .

هو ذلك الأديب ابن الطبقة الاجتماعية الدنيا في مصر ، الذي عاش همومها ومعاناتها وآلامها ، فعبر عن ذلك بقلمه فأبدع . تفاعل مع قضايا الأمة العربية عامة ، ومجتمعه المصري خاصة ، فأنتجت عبقريته رواياته الخالدة ، والتي تنوّعت بين الواقعية والاجتماعية والتاريخية وحتى النفسية كما هو في رواية " السراب " صوّر فيها – وبنظرة المتبصر العليم بخبايا مصر العميقة ، والأديب الواعي – هموم المصريين في فترة ما .

إن الكتابة عن هذا الكاتب العملاق وعن إبداعاته متعة فكرية ، خاصة عندما نغوص في أعماق أعماله (مدونتنا رواية " السراب ") بلغته الرائعة ، وفنه الرائق بحثا عما تضمر من الأنساق الخفية .

إن الظاهرة الأدبية إنسانية ، وإن المناهج النقدية لا تنحصر في ثقافة ، وإن التأثر والتأثير بين الثقافات إثراء وإضافات فكرية إبداعية ، وتجدد . ومن هذا الباب تأثر أدبنا العربي – إنتاجا ودراسات – بما ظهر بالغرب من مناهج نقدية ، وتأثر نقادنا بالوافد الجديد النقد الثقافي ، ودرسوا على ضوئه أدبنا العربي في عصور الأدبية .

إن المكانة التي تبوّأها النقد الثقافي في حقل الدراسات الأدبية المعاصرة هي التي حفزتنا وأثارت فضولنا في تناول مدونتنا رواية " السراب " على ضوئه لنقف على تلك الأنساق المغمورة ، خاصة في تجربة نجيب محفوظ الكتابة في الرواية النفسية . ذلك أن الدارس لهذه الرواية لا يمكنه – بأي حال – تجاهل ما تنطوي عليه من الأنساق الثقافية المضمرة والتي يكون الكاتب قد أخفاها وراء تلك الظاهرة . وهذا ما حاولنا القيام به في هذه الرواية في ظل النقد الثقافي الذي اخترناه – من بين أدوات التحليل النقدية للنتاجات السردية المعاصرة –

كنشاط نقدي لهذه الدراسة الهادفة إلى الغوص في أغوار النص ، سعيا منا للوقوف على الأنساق الثقافية المتوارية لنرى ما تُتيحه من إضافات معرفية تكشف ما هو غامر، للتعرف أكثر على التركيبة الاجتماعية والسياسية والفكرية والنفسية للمجتمع المصري الشقيق في فترة تاريخية ما .

وقد كشف لنا بحق البحث عن الأنساق الثقافية ما كان مستورا من الأنساق ، وأبان لنا عن ذلك التفاوت الاجتماعي ، والصراعات السياسية في المجتمع المصري آنذاك .

ولقد تضافرت كذلك عواملٌ دفعتنا للكتابة والبحث عن الأنساق الثقافية في رواية " السراب " منها :

1 . رغبتنا في معرفة هذا الجديد الوافد ، ومقاربة رواية " السراب " على ضوئه . خاصة وأننا تعودنا في دراستنا للنصوص الأدبية شعرا ونثرا سابقا على النقد الجمالي . فلما ظهر النقد الثقافي ، أصبح من الضروري معرفة هذا الجديد الوافد .

2 . في نظرنا الرواية العربية مثقلة بالخلفيات التاريخية والاجتماعية والعادات وتقاليد المجتمع تراكمت ، ولا تظهر لظروف مانعة فيأتي الكاتب المبدع يضمرها في أنساق لا يكشفها إلاّ النقد الثقافي .

3 – وأمر آخر هام في نظرنا وهو أن الرواية العربية محملة بالخلفيات التاريخية والاجتماعية والعادات وتقاليد المجتمع في تفاعل دائم مخلفة تراكمات ثقافية ، لقد لا تظهر لظروف مانعة فيأتي الكاتب المبدع يضمرها في أنساق لا يكشفها إلاّ النقد الثقافي .

4 – اكتساب خبرة معرفية في مجال النقد الثقافي .

وتكمن أهمية بحثنا في محاولة الغوص في أعماق الرواية بحثا عن تلك الأنساق المضمرة فيها والتي تخفّت وراء تلك الظاهرة .

وعن الدراسات السابقة فقد تناول هذه الرواية بالتحليل والدراسة الكثير من الباحثين والنقاد العرب نذكر منهم على وجه الإجمال :

– البنية السردية في رواية " السراب " لنجيب محفوظ . حسيني مروة .
– " من سكونية البطل .. إلى حركية المجتمع . قراءة في رواية " السَّرابِ " لنجيب محفوظ . لممدوح فراج النابي . وهي دراسة حاول الباحث طرح تأويل جديد لرواية " السراب " لنجيب محفوظ ، بنى على قراءات سابقة اعتمدت منهج التحليل النفسي .

وفي هذا السياق برزت إشكالية بحثنا التي طرحناها بحثا عن جواب لها وهي : أن الدارس والقارئ العربي تعوّد ومنذ العصور القديمة على دراسة وتذوق الأدب شعرِهِ ونثرِهِ من خلال النقد الأدبي الذي يهتم بجماليات النص البلاغية الظاهرة ، إلى أن ظهر النقد الثقافي في إبداعات الغرب النقدية .

ومن باب التأثر والتأثير وصل إلينا نحن العرب هذا النقد ، واهتم به نقادنا وأسقطوه على تراثنا العربي شعرا ونثرا من العصر الجاهلي إلى اليوم . وقد تباين الآراء حوله بين رافض ومتردد ومتقبل بدون تحفظ . فطرحنا الأسئلة التالي :

– هل يمكن للنقد الثقافي أن يكون بديلا عن النقد الأدبي ؟
– وإذا كان كذلك ، فهل نقول بموت النقد الأدبي كما ذهب إليه الباحث السعودي عبد الغذامي؟
– ما الجديد الذي يقدمه لنا هذا الوافد الغربي في ساحة النقد الأدبي العربي ؟
– ما هي الإضافات التي يقدّمها النقد الثقافي لنا ونحن نحاول فك شفرات المتن ؟

فجاء بحثنا هذا محاولة للإجابة عن هذه الإشكالية ، في مدخل ، وفصلين ، ثم خاتمة .

يتحدّث المدخل عن موضوع دراستنا هذه وهو رواية " السراب " للكاتب المصري الكبير نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل للأدب كمدونة لمذكرتنا . هذه الرواية التي امتازت عن غيرها من روايات نجيب بأنها عالجت الجانب النفسي لبطل الرواية كامل رؤبة لاظ وأظهرت قدرة الكاتب الابداعية في هذا النوع من الكتابة ، وأنها مغرية في مضمونها وأسلوبها بحيث تشدّ القارئ وتدفعه للتأويل والقراءة الموازية لما هو ظاهر النص .

وفي الفصل الأول الموسوم بـ :" النقد الثقافي نشأة وتطبيقا " ، وقد قسمناه إلى أربعة مباحث . تحدثنا في المبحث البحث الأول عن مفهوم النقد لغةً واصطلاحا . ثم عرّفنا النقد الأدبي والفرق بينهما ، ثم انتقلنا إلى المبحث الثاني وعرّفنا – بشيء من التفصيل – النقد الثقافي من حيث المفهوم والنشأة ، ورواده في الأدبين الغربي العربي ، ثم انتقلنا إلى المبحث حيث ذكرنا فيه أهم خصائص النقد الثقافي وروافده . أما المبحث الرابع فتطرقنا فيه إلى مفهوم الثقافة النسق الثقافي .

وفيما الفصل الثاني الموسوم بـ : " قراءة في الأنساق الثقافية " فقد قمنا باستجلاء علاقة الثقافة بالمجتمع ، كما رصدنا الأنساق الثقافية في الرواية : السياسية الاجتماعية النفسية والدينية

وختمنا بحثنا ببعض النتائج التي توصلنا إليها على مستوى كل فصل .

وعن المنهج الذي اتبعناه في قراءتنا للرواية محل البحث ، اخترنا لبحثنا هذا النقد الثقافي لما يمنحه للدارس من حرية التنقل والاستفادة من المناهج والاتجاهات النقدية ، وما يفسح من مساحة للتأويل وقراءة الأنساق .

وإذا كانت الضرورة العلمية تقتضي العودة إلى المراجع ، فقد عدنا إلى مراجع للاستعانة منها :

" نقد الشعر" لقدامة بن جعفر ، وكتاب " تاريخ النقد الأدب " للدكتور عبد العزيز عتيق وكتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري " للأستاذ طه أحمد إبراهيم . وكتاب " النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية " لعبد الله الغذامي .

كما استفدنا من بعض المراجع منها :

– " النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية " لعبد الله الغذامي . وهو من أهم المراجع العربية في النقد الثقافي

– " الكتابة في البوح والإمتاع " لبشير بن يخلف .

" دليل مصطلحات الدراسات النقدية والنقد الثقافي " لسمير خليل.

– " وجود جهود فردية ليس كافيا للحديث عن شيء يسمى نقد ثقافي " للويس علي .

وإذا كان للكل مشروع في الحياة . مادي أو فكري . من صعوبات تواجهه ، ولن يُكتب له النجاح إلاّ إذا تغلّب عليها ، فإن من الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا :

1 – قلة التجربة في تحليل الخطابات الأدبية على ضوء النقد الثقافي .

2 – صعوبة الوصول إلى الأنساق الثقافية المضمرة .

3 – المراجع في مثل هذه الدراسات قليلة مقارنة بالنقد الأدبي .

وعلى الرغم من هذا ، فإننا بذلنا جهدنا بعون الله .

وفي الأخير نتوجه بالشكر والتقدير لكل من ساعدنا ومدّ لنا يد العون ، ونخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور يوسف بديدة الذي لم يدخر أي جهد في تقديم يد العون لنا ، وأمدنا بتوجيهاته ، وذللنا لنا الصعوبات ، وبث فينا روح الثقة والاعتماد على النفس ، كما نتقدم بالشكر كذلك للجنة المناقشة على تفضلهم قبول بحثنا هذا ، وإفادتنا بملاحظاتهم التي أضاقت لنا الكثير النافع .

والحمد لله أولا وآخرا

الفصل الأول :

النقد الثقافي نشأة وتطبيقا

. توطئة .

1 . المبحث الأول : مفهوم النقد الثقافي .

1/1 . مفهوم النقد لغة واصطلاحا .

2/1 . الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي .

2 . المبحث الثاني : في مفهوم النقد الثقافي .

1/2 . النقد الثقافي : المفهوم والنشأة .

2/2 . رواد النقد الثقافي في الأدب الغربي والأدب العربي

3 . المبحث الثالث : خصائص النقد الثقافي ، روافده .

4 . المبحث الرابع : النسق الثقافي .

توطئة :

لما كنا نبحث في رواية " السراب " لنجيب محفوظ عن الأنساق الثقافية في ضوء النقد الثقافي ، ولتتضح لنا صورة هذا الأخير ، فإننا نرى من ضرورات هذا البحث التعرضَ لمفهوم النقد ، والنقد الأدبي ، ثم النقد الثقافي ، والاختلاف بينهما .

1 . المبحث الأول : مفهوم النقد .

1.1 . النقد لغة :

يُعرف مصطلح " النقد " المشتق من الفعل نَقَدَ ، بأنه التمحيصّ ، وتمييّز الجيد من الرديء من كل شيء . واستعمل اللفظ في اللغة العربية لمعانٍ منها :

– " الأول : تمييز الجيد من الرديء . قالوا : نقدتُ الدراهم وانتقدتها ، أخرجتُ منها الزيف وميّزت جيدها من رديئها . ومنه التِّنْقاد والانتقاد وهو تمييز الدراهم وإخراج الزائف منها . – والثاني : العيب والانتقاص . قالت العرب : نقدته الحية إذا لدغته ... واستعمل الأدباء العرب كلمة النقد بالاستعمالين لنقد الكلام شعره ونثره وبدأ ظهور ذلك في القرن الثالث الهجري على وجه التقريب "[1].

ويعرف النقد كذلك " بأنه نقد الصيرفي الدراهم والدنانير وانتقدها " أي ميّز صحيحها من زائفها وجيّدها من رديئها . ومن معانيها أيضا النقاش . يقال ناقد فلان فلانا في الأمر إذا ناقشه فيه "[2] .

---

[1] . قدامة بن جعفر ، " نقد الشعر " ، تح : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 12.

[2] . عبد العزيز عتيق ، " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط 3 ، بيروت ، 1974م ص8 .

1. 2. اصطلاحا :

1 . وظيفة النقد عند سكاليني ودوره في أنه القاضي الحاكم بالصواب أو الخطإ .

2 . بينما يراه ريمي كورمون في مقولته الشهيرة : لا يوجد نقد أدبي ، ولا يمكن أن يوجد طالما انعدمت الشفرة الأدبية .

3 . ونرى ميشال فوكو يقول أن النقد " إنطاق المعاني الخرساء النائمة في الكتابات التي يكتبها الكُتاب الأدباء عبر القرون الطوال . فكأن النقد تمرير خطاب سجين قديم ، متسم بالصمت في نفسه ، في الخطاب الأدبي أخذ أكثر ثرثرة ، وفي الوقت ذاته أقدم قدما ، وأكثر معاصرة "[1]

ويعرّفه أحمد الشايب فيقول : " فهو عندهم التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه "[2] .

وهو عند طه أحمد إبراهيم فقال : " ولعل النقد الأدبي – على حداثة العناية به في مصر – من أهم الدراسات وألزمِها لتذوق الأدب وتأريخه وتمييز عناصره وشرح أسباب جماله وقوّته ، ورسم السبيل الصحيحة للقراءة والإنشاء "[3].

وبناء على تعريفات مصطلح " النقد" نستخلص بأنه : دراسة ونقاش ، وتقييم وتفسير . وبالتالي فهو عملٌ قيمي تقديري للأدب ، ذاتي وموضوعي يخضع لثقافة الناقد .

---

1 - عبد المالك مرتاض ، في نظرية النقد ، ص 29 .

[2] . أحمد الشايب ، " أصول النقد الأدبي " ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 10 ، القاهرة ، 1994 ، ص . 116.

[3] . طه أحمد إبراهيم ، " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري" ، المكتبة العربية بيروت ،1981 ، صفحة أ.

1. 3 . النقد الأدبي :

هو إصدار أحكام على النصوص الأدبية ، وهو فن تفسير الأعمال الأدبية . حيث يُعنى بتقدير العمل الفني ومعرفة قيمته ودرجته في الجودة شكلا ومضمونا للوقوف على ومواطن الجمال وشعريته الفنية .

يرتبط فيها ذوق الناقد وفكره في محاولة للكشف المعلل عن جماليّة النص الأدبيّ أو العيوب التي توجد فيه . لذا كان الذوق هو المرجعَ الأول في الحكم على الأدب والفنون في النقد الأدبي لأنه أقرب الموازين والمقاييس إلى طبيعتها .

1 . 4 . الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي :

إذا كان النقد الأدبي يتجه إلى دراسة الظاهر في النصوص الأدبية مركزا على الجماليات والبلاغيات فيه ، فإن النقد الثقافي يهدف إلى الكشف عن الأنساق الفكرية السائدة المترسبة تحت تربة الجمالي / البلاغي . ويحاول هذا النوع من النقد أن يغوص فيما وراء الكلمات وما يحيط بها بغض النظر عن كوْن النص يحظى بقدرات بلاغية أم لا ، مع الاهتمام البالغ بالأفكار والمعاني .

– وإذا كان النقد الأدبي نخبوي مؤسساتي ، فإن النقد الثقافي جماهيري شعبوي يدرس كل الفنون الأدبية ، وكذلك الفنون الجميلة والإشهارات ...

وعليه ، وكما يرى لونيس علي " إنّ المُشترك بين النقد الأدبي والنقد الثقافي هو (النص/ الخطاب) . إلاّ أنّ الاختلاف بينهما يكْمن في طبيعة الرؤية النقدية ومرجعياتها وأهدافها "[1] .

[1] . لونيس علي ، مقال له : " وجود جهود فردية ليس كافيا للحديث عن شيء يُسمى نقدا ثقافيًا " ، نشر بجريدة النصر اليومية بتاريخ 24 – 12 – 2018 .

2 . المبحث الثاني : مفهوم النقد الثقافي .

إذا اعتبرنا النموذج الأدبي نموذجا جماليا تصوريا بعديا أي ينتج عن اشتغال الفكر الإنساني المبدع ، فتأتي القيمة الكبرى للنقد الثقافي في قدرته على التفكيك والتأويل وإعادة التركيب بحيث نكون وكأننا أمام خطاب أدبي جديد تماما . فما هو النقد الثقافي ؟

النقد الثقافي ممارسة ثقافية تتطلب بناء المعرفة بها قدرة على استنطاق ذلك المجهول الذي يثوي خلف الدلالة المباشرة . وهذا ما يقتضي ، إلى جانب الاهتمام بخصوصية النص باعتباره خطابا لغويا جماليا ، وعيًا بالسياق الثقافي الواسع الذي يتحقق فيه ، وذلك من أجل إنارة النص وتسليط ما يكفي من الضوء عليه حتى يكشف عن الأنساق المضمرة فيه ، فهو نشاط نقدي فتح للباحث والدارس مجالا واسعا في مجال البحث والدرس الأدبي بما يمنحه من نظريات متنوّعة ، وإجراءات وأدوات نقدية تجعله أكثر حرية ، وأقدر على التأويل والتعمق ، وأكثر إحساسا بالحرية المعرفية في الطواف من ميدان نقدي إلى آخر . إنه اكتشاف المخبوء في النص الأدبي . إنه إنتاج لمعنى جديد لم يكن يريده المؤلف . فهو إذن قراءة الثقافة للبحث عن الأنساق المضمرة التي تختبئ تحت عباءة الجمالي في النقد الأدبي. ويعتمد على أدوات النقد الأدبي المعدلة تعديلاً ثقافيًا .

والنقد الثقافي الذي هو حقل من حقول علم الألسنية ، إبداعٌ ثانٍ بعد إبداع المؤلف ، هو تعرية لما أخفاه وراء الجمالية الشعرية . يبيّن الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين ومدى تفاعله مع الثقافة . فهو بالتالي معني بكشف اللا جمالي . همُّه الكشف عن المخبوء المستتر تحت أقنعة (البلاغي/ الجمالي) .

وعليه فالنقد الثقافي أشبه بالمغامرة في البحث عن شيء متخفٍ في عباءة جميلة . إنه ذلك الوجه الخفي الخجول الذي لا يُراد له الظهور . إنه الهامش في المجتمع الذي يسعى النقد الثقافي إلى اكتشافه .

وبعبارة أخرى : " هو نقد موازٍ للنقد الأدبي ، ولا ينفيه "[1]. وهو يشتغل على الخطاب كل أشكال الخطابات : الصوّر ، الإعلانات ، الإشهاريات ، أي كل خطاب موجه للآخر .

ويرى الدارسون أن النقد الثقافي ظهر عقب الحداثة . " في المرحلة التي أعقبت ما بعد الحداثة ، بدأ النقد الثقافي يتجه نحو وظيفة التفسير/ التأويل سعيا إلى إلقاء الضوء على ما وراء النصوص أي ما يتوارى خلف الخطاب من أنساق مضمرة وتشكيلات خطابية مسكوت عنها... وما يفعله النقد الثقافي ، أو الناقد الثقافي بالأحرى هو أنه يحفر في المضمرات الدلالية الكامنة وراء أي خطاب جمالي ظاهر ... ذلك أن الأنساق هي المراد الوقوف عليها بالتفسير والتحليل والتأويل وليست النصوص في حدّ ذاتها . من هنا لن يصبح "النص" في ضوء مفهوم النقد الثقافي معزولًا بصفة كلية عن علاقات إنتاجه التاريخية والاجتماعية والثقافية ، ولا عن نسقه التأثيري والمصادر التي يمتاح منها كي يكتسب وجوده وهويّته ، كما اعتادت أن تقوم بذلك الكثير من المناهج الناتجة عن الشكلانية كالأسلوبية والبنيوية ، وغيرها من المناهج النصية بصفة عامة . فمُضْمَرات الخطاب فعل إنساني تاريخي متأثّر بالمجتمع ومؤثّر فيه بالقدر نفسه .

فالنقد الثقافي إذن يبيّن الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين ومدى تفاعله مع الثقافة – وهو معني بكشف لا جمالي . وهمُّه الكشف عن المخبوء المستتر تحت أقنعة (البلاغي/ الجمالي) .

[1] . الخليل سمير . محاضرة مرئية " فضاءات النقد الثقافي " الرابط :

. https://www.youtube.com/watch?v=0f5Ut76dycI

2. النقد الثقافي : المفهوم والنشأة :

2 . 1 المفهوم :

تجاوز النقد الثقافي كل ما هو شكلاني ، وصار يبحث عن مختلف أنواع الثقافة في المجتمع التي أغفلها النقد القديم كما يرى فنيش ليتش .

ويراه الأمريكي أرثزابرجر بأنه " يمارس مجالا معرفيا خاصا بذاته ... " [1] .

2.2 مميزات النقد الثقافي :

وللنقد الثقافي مميزات منها :

1.2.2. التكامل :

يأخذ النقد الثقافي من كل المناهج ، فجاء متكاملا لا يقتصر على مدرسة أو رؤية محددة . بل يعتبر الاقتصار على نقد واحد إجحافا ونقصا . فهو لا يستثني نصا مهما كان من الرسمي إلى الهامشي المكتوب والإشاري وحتى الأزياء والموضة ، فهو " نشاط فكري يتخذ من الثقافة على اختلاف أبعادها موضوعا لبحثه . "[2] .

2.2.2 . التوسع :

إنه النقد الذي لا يقتصر على ما هو مؤسساتي نخبوي ، وإنما يتناول ما هو جماهيري شعبوي ، وما هو هامشي أيضا .

3.2.2 . الاكتشاف :

من أهداف النقد الثقافي اكتشاف جماليات متسترة وراء ما هو بلاغي ذوقي ، بل يغوص في النص بحثا أنساق مغمورة .

---

[1] ـ آرثر إيزابرجر ، " النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، تج وفاء إبراهيم ورمضان بسيطاوسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 ، القاهرة ، 2003 ، ص 19 .

[2] . سعيدة تومي ومصطفى البشير قط ،" المضمر النسقي في الشعر الأموي" ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، م 2 ، ع 3 ، جامعة المسيلة ، ص 52 .

ولا يُعتبر النقد الثقافي عند الدارسين منهجا أو نظرية ، وإنما هو نشاط يأخذ من كل هذه الاتجاهات ، ويستثمر كل المقولات والنظريات في تناوله للنص الأدبي .

فهو إذن يستعين بمناهج التحليل والتفسير والتأويل ، ونظريات التلقي والتفكيكية في تحليل الخطابات وتقويض المألوف (المسكوت عنه) فكان بهذا أشمل وأوسع أفقا من النقد الأدبي كما أنه ليس نقدا قِيميا يبحث عن تمايز الخطابات ، ولكنه يهدف إلى الوقوف على ما تخفَّى من الأنساق وراء هذه الظاهرة ، وفهمِ الثقافة بكل أشكالها البسيطة والمركبة وتحليل سياقاتها الاجتماعية والسياسية . إنه نقد يتعامل مع النص على أنه " حادثة ثقافية وليس مجتلى أدبيا "[1] .

يسعى مشروع النقد الثقافي إلى التعامل مع النصوص ، وذلك على اعتبار أنّ النص علامة ثقافية قبل أن يكون قيمة جمالية ، وهذه العلامة الثقافية لا تتحقق دلالتها إلاّ من خلال سياقه الذي أنتجها أول مرة (سياق المؤلف ، وسياق القارئ أو الناقد) الذي تلقاها بعد ذلك في سعيه نحو التفسير، فالنقد الثقافي يهتم بالمضمرات الدلالية الكامنة وراء الخطاب الجمالي الظاهر، الذي صنعته المؤسسة بعلاقات إنتاجها لذلك فالنقد الثقافي في سعيه الحثيث للوصول إلى نقد كاشف ، يبطل مفعول النشاط المخدر الذي تمارسه المؤسسة على النشاط النقدي .

والنقد الثقافي ليس إلغاء منهجياً للنقد الأدبي (على العكس من رأي الغذامي الذي يرى أن النقد الأدبي الجمالي البلاغي بلغ سن اليأس) .

وعليه فإننا نرى أن النقد الثقافي يتجاوز النظرة الآنية للظاهرة (النقد الجمالي) وأنه لا يثق في جماليات البلاغة وبريقها وسحرها ، ولا ينساق وراء الجماليات الواهية ، وإنما يسعى إلى الغوص والتعمق والتنقيب عن جذورها ، ويحاول الوصول إلى مرجعياتها الفكرية

---

1 . عبد الله الغذامي ، " النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية "، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 3 سنة 2005 ، ص 65 .

والظروف الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية والاقتصادية التي أنتجتها ، للكشف عن تلك الأنساق المضمرة المستترة وراء الظاهر السطحي .

3.2 نشأة النقد الثقافي :

النقد الثقافي صناعة غربية . وفي هذا السياق يقول عبد الوهاب أبو هاشم : " إن النقد الثقافي هو منهج سبقنا إليه الغرب (أمريكا و فرنسا) ، له أدواته للكشف عن المضمر النسقي في العمل الأدبي"[1] .

وتقول صورية جغبوب : " يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد . وقد جاء على أساس أنه رد فعل على البنيوية اللسانية والسيميائيات ، والنظرية الجمالية التي تُعنى بالأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة أو ظاهرة فنية وجمالية كم جهة أخرى . ومن ثم فقد استهدف النقد الثقافي تقويض البلاغة والنقد معا ، بغية بناء بديل منهجي جديد يتمثل في المنهج الثقافي الذي يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي السياسي والتاريخي والمؤسساتي فهما وتفسيرا "[2] . وتقول أيضا : . " إنّ النقد الثقافي هو بتعبير آخر استعادة الإنساني داخل النصوص بعد أن قامت البنيوية بطرده أو بالإعلان عن موته (موت المؤلف) "[3].

---

[1] . عبد الوهاب أبو هاشم ، " مشروع النقد الثقافي" ، مقدمة في ملتقى الإبداع ، اللقاء الخامس ، 17 أفريل 2003 م.

[2] . صورية جغبوب ، " النقد الثقافي مفهومه ، حدوده ، وأهم رواده " ، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة خنشلة ، العدد الأول ، ص 27 .

[3] . لونيس علي ، مقال له : " وجود جهود فردية ليس كافيا للحديث عن شيء يُسمى نقدا ثقافيًا " ، نشر بجريدة النصر اليومية بتاريخ 24 – 12 – 2018 ..

ووعليه فالنقد الثقافي من إفرازات ما بعد الحداثة التي انبثق عنها في بداية ثمانينات القرن العشرين نتيجة تطرف الاتجاهات النقدية النسقية وإقصاءاتها لكل ما هو خارج النص . وهو نقد يطرح مشروعا بديلا عن أطروحات النقد الأدبي الذي مهمته لا تتعدى الكشف عن أدبية النص وقيمته الفنية .

فالنقد الثقافي إذن أعاد الاعتبار لما هو خارج النص كالعوامل الاجتماعية والسياسية المؤثرة في الكاتب ، وأعادت حضوره في التحليل والنقد .

4.2.. رواد النقد الثقافي في الأدب الغربي .

من رواد الأوائل في النقد الأدبي الغربي الذين اهتموا بالدراسات الثقافية (Cultural studies) بصفة عامة والنقد الثقافي بصفة خاصة ، والذين تُعد عملهم بمثابة الإرهاصات الأولى للنقد الثقافي :

1. **ماثيو آرنولد** في كتابه : " الثقافة والفوضى" (1869م) ، ومقاله الثقافي الآخر: " مهمة النقد في الوقت الحاضر" (1865م) .
2. **تايلور** في كتابه : " الثقافة البدائية" (1871م) .
3. **ريموند وليامز** في كتابه : " الثقافة والمجتمع : من عام1780م– 1950م" (1958م) .

أما النقاد الغربيون الذين أثروا النقد الثقافي(Cultural criticism) فمنهم :

1 . **فانسان ليتش** (Leitch.Vincent.B) الناقد الأمريكي الذي اهتم بالنقد الثقافي منذ سنوات الثمانين من القرن العشرين وبخاصة في كتابه : " النقد والطابو: النقد الأدبي والقيّم" (1987م) ، وأول من أطلق مصطلح النقد الثقافي ، حيث بلور منهجية جديدة سماها النقد الثقافي باستيحاء فلسفة ما بعد الحداثة وآراء ما بعد الماركسية . وقد اشتغل **ليتش** على تقويم ثلاثة نقاد أمريكيين وهم : الناقد **واين بوث** (Wayne Boot) صاحب كتاب " التعددية الليبرالية " ، **وروبرت شولز** (Robert Scholes) صاحب كتاب (البنيوية في الأدب 1973م.) ، **وهيليز ميلر** (Hillis Miller) ممثل التفكيكية .

وقد أصدر **ليتش** مجموعة من الكتب النقدية منها : (ما بعد البنيوية ، والنقد الثقافي والنظرية الأدبية ، والنقد الأدبي الأمريكي) . كما كتب مجموعة من المقالات النقدية في إطار النقد الثقافي للتعريف به نظريةً وتطبيقا وذلك منذ سنة 1987م لتبيان موقفه مما بعد الحداثة ، وموقفه من مدرسة **ييل** (Yale) التفكيكية . وكتب سنة 1983 كتابا حول النقد الثقافي ، مبينا مرتكزاته النظرية والتطبيقية .

2 . **جانيت وولف** (Janet Wolff) وكتابه بعنوان : " في الطريق مرة أخرى: استعارات السفر في النقد الثقافي" .

3 . **أرتور عيسى بيرجر**(Arthur Asa Berger) الذي أصدر كتابا عنوانه : " النقد الثقافي بداية مفتاح المفاهيم" .

5/2 . رواد النقد الثقافي في الأدب العربي .

يعتبر النقد الثقافي وافدا على الفكر العربي نتيجة تأثر نقادنا بالحداثة الغربية وما أنتجته وقد تباينت ردود فعل الدارسين العرب حوله بين متحمس ورافض . ومن أشهر الدارسين العرب الذين اهتموا بالنقد الثقافي، نذكر:

1 . عبد الله الغذامي في كتابه :" النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية " ، وفي كتابه المشترك مع الدكتور عبد النبي اصطيف: " نقد ثقافي ، أم نقد أدبي؟ ".

2 . وسعد البازعي ، وميجان الرويلي في كتابهما : " دليل الناقد الأدبي" .

3 . والباحث الجزائري **حفناوي بعلي** في كتابه : " مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن" .

4 . والمفكر والفيلسوف المصري **صلاح قنصوة** في كتابه :" تمارين في النقد الثقافي" .

5 . والدارس العراقي **محسن جاسم الموسوي** في كتابه المعنون:" النظرية والنقد الثقافي" .

وما نلاحظه أن النقد الثقافي انتشر في الشرق العربي بشكل لافت للانتباه وخاصة في المملكة العربية السعودية ، بينما لم يتمثل النقاد المغاربة النقد الثقافي بشكل من الأشكال على الرغم من كونهم كانوا سبّاقين عربيا إلى الاستفادة من النقد الحداثي نظرية وتطبيقا .

والسبب في ذلك . حسب اعتقادنا . أن النقاد المغاربة يهتمون بالثقافة الفرنكفونية أكثر من اهتمامهم بالثقافة الأنجلوسكسونية .

وفي هذا السياق ، يصرح الدكتور عبد الرحمن بن محمد الوهابي قائلا : " نرى في المغرب اهتمام النقاد بصورة أكثر فاعلية في ترجمة الكثير من الكتب التنظيرية ، وكانت كتاباتهم على وجه الخصوص حول الشكلانية الحديثة ، والبنيوية ، وبخاصة الصادرة من الفكر الفرنسي . وهذه الدراسات المغربية أكثر رواجا بالنسبة لبعض النقاد السعوديين المهتمين بمثل هذه الإسهامات . ولسوء الحظ ، فإن هؤلاء النقاد جملة لم يهتموا بالدراسات الثقافية الأخرى ذات الأهمية الكبرى لمجتمعاتهم وتطورها مثل : الدراسات النسائية وحقوق للمرأة المعروفة جيدا في الدراسات الفرنسية والأوروبية ".

ينطبق هذا الحكم فعلا على النقد الثقافي . ولكن اليوم ثمة دراسات عديدة في مجال النقد الثقافي ولاسيما النقد النسوي ككتاب نعيمة هدي المدغري :" النقد النسوي : حوار المساواة في الفكر والآداب" ، وكتاب زهور كرام : " السرد النسائي العربي" وكتاب فاطمة الزهراء أزرويل وآخرين ، وهو تحت عنوان : " ملامح نسائية ... " .

خلاصة القول في مفهوم النقد الثقافي :بعدما قدمناه من تعريفات للنقد الثقافي ، نستنتج بأنه نقد رافض للنقد الأدبي والبلاغي ، واستبدلهما بالكشف عن الأنساق المخبوءة ودراستها ضمن سياقتها الاجتماعية والسياسية ، والتاريخية .

3 . المبحث الثالث : النقد الثقافي : الخصائص ، الروافد ، والمرتكزات .

3 . 1 الخصائص :

ومن أهم الخصائص التي يتميز بها النقد الثقافي :

– تجنب الانتقائية : يتناول الخطاب المؤسساتي النخبوي والهامشي الشعبوي على السواء دون اقصاء .

– مكمل للنقد الأدبي .

- لا يكتفي بالنظرة السطحية للنص بل يغوص في أعماقه .
- كاشف للقيم الحقيقية المتوارية وراء الجمالي .
- النص عنده قيمةٌ ثقافية يجب الوصول إلى أنساقها المضمرة لتحقيق التذوق الحقيقي لها .
- يظهر المؤثرات الحقيقية المبهمة في النص وفي مؤلِفه .
- يجمع بين العلوم الإنسانية : علم الاجتماع ، علم النفس ، والتاريخ ، والأدب .
- يكشف المهمش من خلال تناوله نصوص المعارضَة ، والأدب الشعبي والنسوي .
- الارتقاء بالأنساق المضمرة في الثقافات المحلية .

3 . 2 . روافد النقد الثقافي :

ومن روافد النقد الثقافي الذي يستقي منها :

- علم النفس .
- علم الاجتماع .
- السيموطيقا (علم العلامات) .

3 . 3 . مرتكزات النقد الثقافي :

يحددها الأستاذ جميل حمداوي في مقال له موسوم " النقد الثقافي بين المطرقة والسندان " فيما يلي :

- **الجملة الثقافية :**

(يعتمد النقد الثقافي على التمييز المنهجي بين ثلاث جمل رئيسة ، وهي: الجملة النحوية ذات المدلول التداولي ، والجملة الأدبية ذات المدلول الضمني والمجازي والإيحائي ، والجملة الثقافية التي هي : " حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي ، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة ، ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية ، وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية . والجملة الثقافية ليست عددا كميا ، إذ قد نجد جملة ثقافية

واحدة في مقابل ألف جملة نحوية . أي : إن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثف ")[1].

ونفهم من كل هذا أن الجملة الثقافية هي الهدف والمرمى ، وأنها تعنى باستكشاف المنطوق الثقافي ، وتحصيل المعنى السياقي الذي يحيل على المرجع الثقافي الخارجي .

. المجاز الكلي :

" يهدف النقد الثقافي إلى استخلاص المجازات الثقافية الكبرى التي تتجاوز المجاز البلاغي والأدبي المفرد حيث يتحول النص أو الخطاب إلى مضمرات ثقافية مجازية : " وهذا معناه أننا بحاجة إلى كشف مجازات اللغة الكبرى والمضمرة ، ومع كل خطاب لغوي هناك مضمر نسقي ، يتوسل بالمجازية والتعبير المجازي ليؤسس عبره قيمة دلالية غير واضحة المعالم ويحتاج كشفها إلى حفرٍ في أعماق التكوين النسقي للغة ، وما تفعله في ذهنية مستخدميها.

والمجاز الكلي : هو الجانب الذي يمثل قناعا تتقنع به اللغة لتمرر أنساقها الثقافية دون وعي منا، حتى لَنُصاب بما سميته من قبل بالعمى الثقافي . وفي اللغة مجازاتها الكبرى والكلية التي تتطلب منا عملا مختلفا لكي نكشفها ، ولا تكفي الأدوات القديمة لكشف ذلك . وخطاب الحب مثلا هو خطاب مجازي كبير، يختبئ من تحته نسق ثقافي، ويتحرك عبر جمل ثقافية غير ملحوظة . ويعني هذا أن النص أو الخطاب الثقافي يتحول إلى استعارات ومجازات كلية تحمل في طياتها مدلولات ومقصديات ثقافية مباشرة وغير مباشرة "[2] .

. **التورية الثقافية :**

تتكئ التورية الثقافية في النقد الثقافي على معنيين : معنى قريب غير مقصود، ومعنى بعيد مضمر وهو المقصود . ويعني هذا أن التورية الثقافية هي كشف للمضمر الثقافي المختبئ وراء السطور. وفي هذا الصدد ، يقول الغذامي: " وتبعا لمفهوم المجاز الكلي

[1] . جميل حمداوي ، مقال " النقد الثقافي بين المطرقة والسندان " ، منتدى حر للثقافة والفكر والأدب ، جانفي 2012 .

[2] . جميل حمداوي ، مقال " النقد الثقافي بين المطرقة والسندان " ، منتدى حر للثقافة والفكر والأدب ، جانفي 2012 .

بوصفه مفهوما مختلفا عن المجاز البلاغي والنقدي فإن التورية هي مصطلح دقيق ومحكم وهو في المعهود منه يعني وجود معنيين : أحدهما قريب والآخر بعيد ، والمقصود هو البعيد وكشفه هو لعبة بلاغية منضبطة . ونحن هنا نوسع من مجال التورية لا لتكون بهذا المعنى البلاغي المحدد ، ولكننا نقول بالتورية الثقافية . أي : إن الخطاب يحمل نسقين ، لا معنيين وأحد هذين النسقين واع والآخر مضمر. "[1] .

ويقول عبد القادر طالب بأن يوسف عليمات يرى يوسف " أن النص بوصفه نظاما لغويا وتشكلا جماليا ، فهو يضمر ببنيته العميقة موضوعات ثقافية فكرية متباينة تتصل برؤية المبدع ومواقفه المتعددة إزاء الحياة والوجود "[2] .

4 . المبحث الرابع . الثقافة والنسق الثقافي المضمر:

4 . 1 . مفهوم الثقافة :

لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور : " ثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا ، وثقف الشيء حذقه ،.. والثقاف هو ما تستوي فيه الرماح . وفي حديث عائشة تصف أباها أبا بكر: قام أودها بثقافة ، أي أنه سوى بين المسلمين " .

ما نلاحظه في هذا التعريف أن معنى كلمة ثقافة هو بمعنى الفهم الحسن للشيء والتهذيب والتقويم .

وفي القاموس المحيط فالمعنى قريب من هذا . " فأصل أصل كلمة ثقف ككرم وفرح ثقفا وثقافة ، أي صار حاذقا حفيفا فطنا . وامرأة ثقاف كسحاب : فطنة ، وككتاب : الخصام والجلاد ، وما تسوى به الرماح " .

---

[1] . جميل حمداوي ، مقال " النقد الثقافي بين المطرقة والسندان " ، منتدى حر للثقافة والفكر والأدب ، جانفي 2012 .

[2] . عبد القادر طالب " النسق الثقافي وسمات التشكل في الخطاب الأدبي ، قراءة في تجربة الناقد يوسف عليمات ، جامعة أمحمد بوقرة ، بومرداس المجلد 2 . العدد 10 ، ص 350 .

وذكر الجاحظ لفظة الثقاف في حديثه عن عناية الشعراء بقصائدهم ، وهو معنى لا يبعد كثيرا عن هذا المعنى فقال : " وكانوا مع ذلك إذا احتاج إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور بنوه في صدورهم وقيدوه على نفود فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير أبرزوه محككا منفحا ومصفى من الأدنى مهذبا " .

وما نفهمه أن الثقافة عند القدامى تفيد تقويم الشعر وتعديله قبل إصداره .

أما عند اللغويين فعي الحذق والذكاء والفطنة . وهي تعريفات تشترك في منعنى التقويم والتعديل .

اصطلاحا :

أما اصطلاحا فقد تعددت تعريفات الثقافة وتنوعت . ومن أهم التعريفات ما قدّمه إدوارد نابوليون الإنجليزي في كتابه " الثقافة البدائية " حين عرفها بقوله : " ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة ، والمعتقدات والفنون والأخلاقيات والقوانين والآراء والقدرات الأخرى ، وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع " .

ويربط تايلور (tailor) مفهوم الثقافة بالنحية المعنوية الروحية ، فهي تمثل المعارف والأخلاقيات وكل السلوكات المكتسبة من طرف البشر داخل العمران البشري .

أما روبيرت بيرسيد (robrt percid) فإنه يرى أن " الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يبألف من كل ما نفكر فيه ، أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع " .

بينما علماء الأحياء يرون أن الثقافة لا تتعدى أنها " اكتساب وراثي أو فطري تنتقل إلى الإنسان دون أن تبذل أي جهد " .

هذه نظرة الغربيين للثقافة ، فكيف يعرفها العرب ؟

يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي عن الثقافة بأنها " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ،وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط

سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط " . فالثقافة عند ابن نبي مبادئ وأخلاق يتأثر بها الإنسان منذ النشأة حتى تصير جزءا من حياته وتصرفاته اليومية .

أما حسين الصديق فيعرفها في كتابه (الإنسان والسلطة) بأنها " مجموعة من المعطى التي تميل إلى إلى الظهور بشكل منظم فيما بينها مشكلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعددة التي تنظم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينها في الزمان والمكان . فالثقافة ما هي إلاّ التمثيل الفكري للمجتمع والذي ينطلق منه العقل الإنساني في تطوير عمله وخلق إبداعاته " .

وما نخلص إليه من تعريفات الغربيين والعرب ، وتصوراتهم للثقافة ، أنها :

1 . أنها معرفة تشمل النشاطات الفكرية والمادية للفرد ، فهي تشمل الأخلاقيات الفانون والمعتقدات والأعراف والتقاليد .

2 . يختص كل مجتمع بثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات .

3 . هي بمثابة الحصن للمجتمع ودستور حياة اجتماعية لا تقبل المساس بها ، ذلك أنها تتضمن المعتقدات .

ممارسة تتخلل النشاط الإنساني سواء أكان فرداً أم جماعة ، ولكن هذا النشاط يتحول إلى إنتاج أو تكوين معرفي لغوي مُرَمَّزٍ ، يتمدد في التسنينات الثقافية ليتحول إلى تشكيل فاعل فالمنتج المعرفي يصوغ تفكيرنا ومواقفنا ، وهو يعبر بصورة أو بأخرى عن ذواتنا ، أو طريقة تفكيرنا تجاه بعض الأمور . فالثقافة تختص بمجموعة ما ، أو طبقة ، أو عرق . ولكنها مع ذلك ليست عبارة عن قطاعات منفصلة معزولة ... إنما هي تتقاطع وتتفاعل في ما بينها ولهذا فإن الممارسة اللغوية المعرفية تستوجب في بعض الأحيان فعلاً مضاداً ، ومن هنا ينشأ التكوين أو التسنين الثقافي الذي يعدّ مواجهة ثقافية حضارية . فهدف الدرس الثقافي ليس النص بعينه إنما الهدف الكشف عن الأنظمة في فعلها الاجتماعي .

ومن هنا يأتي مفهوم النسق الثقافي الذي يحيله عبد الله الغذّامي إلى رومان ياكبسون وعناصره الستة المعروفة . فإن الغذامي أضاف الوظيفة النسقية للعنصر النسقي. " الوظيفة النسقية: ويرى الغذامي أنه لابد من ربط النقد الثقافي بالنسقية، فإذا كان رومان جاكبسون قد حدد ست وظائف لستة عناصر، الوظيفة الجمالية للرسالة، والوظيفة ، الانفعالية للمرسل والوظيفة التأثيرية للمتلقي، والوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة الحفاظية للقناة، والوظيفة الوصفية للغة . فقد حان الوقت لإضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي . ويعني هذا أن النقد الثقافي يهتم بالمضمر في النصوص والخطابات ، ويستقصي اللاوعي النصي، وينتقل دلاليا من الدلالات الحرفية والتضمينية إلى الدلالات النسقية "[1] .

4 . 2 . النسق في اللغة :

جاء في كتاب " العين " للخليل أن : " النسق من كل شيء ، ما كان على نظام واحد عام في الأشياء ونسقته تنسيقا . وتقول انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت "[2] .

ورد في لسان العرب معنى لكلمة النسق : " النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ويخفّف "[3] .

فالنسق توالي عناصر في نظام واحد ، يرتبط فيه السابق باللاحق .

---

[1] . جميل حمداوي ، مقال " النقد الثقافي بين المطرقة والسندان " ، منتدى حر للثقافة والفكر والأدب ، جانفي 2012 .

[2] . الخليل بن أحمد الفراهيدي : معجم العين، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 2003 ج4 ص : 218– 7 .

3 ـ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ط5 . بيروت ، 2005، ج 10 ، ص 352 ، 353 .

4 . 3 النسق الثقافي :

تعريفه :

هو عند النقاد الثقافيين ، مفهوم إجرائي ، ويقصد به " مجموعة من القيّم المتوارية خلف النصوص والخطابات والممارسات " ، مهما كانت هذه القيم إيديولوجية أو سياسية أو اجتماعية .

ويعرفه وحيد بن عزوز قائلا : " إنّ وظيفة النقد الثقافي هي استنطاق النصوص المطموسة في المجتمع ، النصوص المقموعة والمهمشة والمحتقرة باعتبارها لا تنتمي إلى المُعتمد الرسمي المدروس في النقد الأدبي من طرف جماعة اجتماعية من النخبة ، تخدم مصلحة أو طبقة معينة "[1] .

ويبين الغذامي أن النسق يقوم على وظيفة الدلالة النسقية التي ترتبط بعلاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتتحول إلى عنصر ثقافي آخذ في التشكل ، وهو أحياناً إما أن يكون ظاهراً وإما أن يكون كامناً . غير أن أهمّ ما يميز النسق ما ينهض به من وظيفة ، ولكن ليس من حيث وجوده المجرد "[2].

فالنسق يعمل على أساس أنه عناصر وتمظهرات تتخلل المجتمع باختلاف مستوياته ، غير أنها تتميز بقدرتها على تكوين خططها بهدف التورية ، والمغالطة ، والكشف والتعمية . إنها نماذج من الخداع الذي يستثمر البلاغي والجمالي كما المجازي .

---

[1] . وحيد بن بوعزيز ، مقال حول " وظيفة النقد الثقافي هي استنطاق النصوص المطموسة "" ، جريدة النصر ، ديسمبر 2018 . .

[2] . رامي أبو شهاب ، " في مفهوم النسق الثقافي : الممارسة والمظاهر والتشخيص النقدي " ، مجلة القدس العربي . 05 يوليو 2016م.

وهو عند الدكتور عبد الفتاح أحمد يوسف : " النسق الثقافي ذو طابع جمعي يخضع لبنية اجتماعية ذات طقوس وشعائر جمعية "[1] .

من هنا تتضح الحاجة إلى تكوين مقاربة نقدية تتسم بتكوينها المفاهيمي المعمّق للكشف عن الطبقات العميقة لهذه النصوص وما تنطوي عليه من ممارسات ثقافية .

نستنتج من هذا أن :

1 . النسق الثقافي ممارسة جماعية .

2 . النسق الثقافي يظهر في صورة جملة (مجموعة) من السلوكيات الجماعية والثقافية والشفاهية .

3 . في النسق الثقافي يحافظ الانسان على شخصيته الثقافية .

ومن خصائصه أنه :

. كل شيء مكوّن من عناصر مشتركة ومختلفة يسمى نسقا .

. مقبول اجتماعيا لأنه يؤدي وظيفة قصر عنها غيره .

4 . 4 . النسق المضمر:

يُعرف بأنه : " كل دلالة مختبئة تحت غطاء الجمالية ، ومتوسلة بهذا الغطاء ... يحيل عليه شيء في النص "[2] . وكل نص أدبي . حسب النقد الثقافي . يحمل نسقين : ظاهر ومضمر بينهما تعارض وتعاكس . على أن يكون هذا النص جماليا وجماهيريا .

والنسق المضمر من نتاج المؤلِف المضمر (الثقافة) . وبناء عليه يصبح لرواية " السراب " مؤلفان :

1 . مؤلِف علني وهو نجيب محفوظ ينسب هذا النص الإبداعي إليه .

---

[1] . عبد الفتاح أحمد يوسف ، " قراءة النص وسؤال الثقافة " 2010م.

[2] . سمير خليل ، " دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي" ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ص 294.

2 . ومؤلِف ثانٍ مضمر هو الثقافة التي شاركت في انتاج هذا الخطاب الأدبي باعتبار تأثيره . أما المتن السردي فنطلق عليه مصطلح الجملة الثقافية بدل " النص ".

والنسق المضمر في هذه الرواية مركب : سياسي ، نفسي . فشخصية كامل ناقصة : خوف ، انطواء على النفس ، خجل مفرط ، وراءه ضغط اجتماعي وسلطوي .

. والأنساق المضمرة من حيث هي مكونات ثقافية للمجتمع المصري في هذه الرواية يحتاج إلى تأويل ثقافي عميق يبيّن طبيعة الموضوعات التي يمكن أن تنتجها هذه الأنساق حيث الحقائق التركيبة السياسية والاجتماعية للمجتمع المصري في فترة ما . علما بأن المجتمع المصري . كغيره من المجتمعات العربية خاصة ، والإنسانية عامة . محكوم بأعراف وتقاليد هي بمثابة المكونات الثقافية لنسيجه الكلي ، والكشف عن الأنساق المخبوءة وراء تلك الظاهرة ، والمتسترة بعباءة الجمالية يفيدنا في فهم الأبعاد المعرفية التاريخية والاجتماعية

وحتى السياسية ، وكذا الموروث الثقافي والعادات والتقاليد .
وعليه فإن هذه الأنساق المضمرة يمكن تسميها . مجازا . الأنساق الثقافية الصغرى .

يعتمد النقد الثقافي على مصطلح النسق المضمر، وهو نسق مركزي في إطار المقاربة الثقافية ، باعتبار أن كل ثقافة معينة تحمل في طياتها أنساقا مهيمنة .

فالنسق الجمالي والبلاغي في الأدب يخفي أنساقا ثقافية مضمرة ، وبتعبير آخر إذا كنا نتحدث في النقد الأدبي عن الوظيفة الأدبية والشعرية ، فهناك كذلك الوظيفة النسقية التي يُعنى بها النقد الثقافي .

وفي هذا الصدد يقول عبد الله الغذامي : " نزعم في عرضنا لمشروع النقد الثقافي أن في الخطاب الأدبي ، والشعري تحديدا ، قيما نسقية مضمرة تتسبب في التأسيس لنسق ثقافي مهيمن ظلت الثقافة العربية تعاني منه على مدى مازال قائما . ظل هذا النسق غير منقود ولا مكشوف بسبب توسله بالجمالي الأدبي ، وبسبب عمى النقد الأدبي عن كشفه ، مذ

انشغل النقد الأدبي بالجمالي وشروطه ، أو عيوب الجمالي ، ولم ينشغل بالأنساق المضمرة كنسق الشعرنة "[1] .

إنّ مفهوم الأنساق المضمرة لا يعني فقط توصيف (وصف وتعريف) هذه الأنساق بل يطال الأمر تعليلها علميًا والبرهنة عليها باستقطاب كوكبة من المعارف والمفاهيم التي تخدم بناء هذه الأنساق .

ويذهب وحيد بوعزيز إلى " إنّ عالم الأنساق المضمرة هو العالم الرمزي للنصوص ، أي العالم الّذي يقتضي طاقة تأويلية عليمة بحيثيات الأيديولوجيا والصراع المجتمعي في كنف الثقافة . للأسف يرتمي البعض في مجالات لا يفقهون بديهياتها ، معتقدين بأنّ المواكبة العلمية والمعرفية من الطبيعة نفسها المتواجدة في عالم الموضة "[2].

الأنساق الثقافية المضمرة إذن ما ترسب عبر الثقافة والتاريخ ، وتموّه وابتعد عن الظهور تغطى بالظاهر الجمالي . هي خفية في الأعماق ، طافية من خلال اللاشعور الذي يظهر من خلال فلتات اللسان ، أو ما تقول الأقلام بلا وعي . فتجعل القراءة متجددة ، ويصبح القارئ منتجا لنص مواز للنص الأصل . وعليه يصبح النقد الثقافي إبداعا لا تكرارا كما هو الحال في النقد الجمالي .

إن التداخل بين ما هو فكري ثقافي وما هو سياسي ، وهيمنة هذا الأخير في كثير من الأحوال هو ما يسبب تَخَفِّي الأنساق الثقافية التي يُحضر البوح بها . قد يكون " أمين الطبيب " عند نجيب محفوظ هو ذلك المرتزق الذي أُعد في الخارج لهدم الداخل . وقد نجح في قتل رباب ، وأوغر صدر كامل وشتت الأسرتين .

---

[1] . جميل حمداوي ، مقال " النقد الثقافي بين المطرقة والسندان " ، منتدى حر للثقافة والفكر والأدب ، جانفي 2012 .

[2] . وحيد بن بوعزيز ، " وظيفة النقد الثقافي " .

الفصل الثاني : قراءة في الأنساق الثقافية

توطئة :

1 . علاقة الرواية بالمجتمع .

2 . التحليل الثقافي .

3 . جدلية الفعل واللا فعل .

4 . الأنساق الثقافي في الرواية :

1/2 . الأنساق السياسية .

2/2 . الأنساق الاجتماعية .

3/2 . الأنساق النفسية .

4/2 . الأنساق الدينية

توطئة :

السراب : هو التيه ، هو المجهول ، هو ضبابية الأفق ، هو الخوف ، هو صورة من صور الكذب . السراب هو اللا شيء . هو وهم يركض وراه الظمآن إلى شيء ولكنه لا يصله .

– وكلمة السراب تحيلنا إلى الآية الكريمة { كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسبُهُ الظَمْآنُ مَاءً . حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا } .

وكما أن لكل شيء اسم ، فإن اسم النص العنوان . وهو يغشى هذه الرواية في كل أحداثها . ومن ظلاله عليها :

1– فعلاقة زينب أم كامل بزوجها رؤبة بك لاظ فشل ، وطلاق متكرر . فالسعادة المرجوّة تبخرت ، وصارت سرابا . " ... ولكن ما كاد ينقضي أسبوعان على ليلة الزفاف حتى عادت أمي إلى بيت جدي دامعة العينين ، كسيرة الفؤاد ..."[1]

2 – علاقة كامل زينب بأمه التي حرصت على أن يبقى في حضنها كاملا طاهرا كما تريده لم تدوم طويلا ، وانفلت منها وانساق وراء الخمر والبغاء ، ثم بالانفصال المأسوي في نهاية الرواية . إنه السراب .

إن أول ما يلفت النظر إليه في رواية السراب الغموض في العنوان . فكأنه جاء ليقول أن بطل الرواية كامل رؤية لاظ حياته كلها انهزام وضياع . لا موقع له في الحياة الاجتماعية فهو . باستثناء أمه ، ورباب زوجته . لم يحض بصديق .

فحياته إذن كلها سراب فكلما ظن كامل أن الحياة ابتسمت إلاّ وكان غير ذلك : ففي الجامعة واجهه الأستاذ بالخطابة " وتطلع إليّ الجميع باهتمام شديد لم يحظَ بمثله الخطباء المصاقع . فحملقتُ في الوجوه المتطلعة دون أن أرى شيئًا، ولفني ذهول وخجل مميت فكدت

[1] . نجيب محفوظ ،" السراب " ، ص 6 .

أقع مغشيًا عليّ وتولاني ذلك الإحساس الحاد بالقنوط الذي يمسك بخناقنا في الكابوس "[1] في العمل كذلك . إنه السراب .

وعند قراءة الرواية نجد أن كل العلاقات فيها سواء بين الشخصية الرئيسية كامل وبين بقية الشخصيات ، أو بين الشخصيات فيما بينها كانت نهايتها أشبه بالسراب حيث لا يتحقق الهدف منها . فكانت كمن يركض وراء السراب . فكل ما كان يؤمل منه الدوام والاستمرارية والخير والنجاح ، انتهى بالفشل .

1 . علاقة الرواية بالمجتمع :

لا يخلو الأدب في أن يكون . بوجه عام . صورة لظروف العصر ، أي أنه مرتبط بالحياة وبالواقع الاجتماعي . يصف حراك المجتمع وما يطرأ عليه من تغيّرات . وبما أنّ الرواية نوع أدبي وثيق الصلة بالواقع الذي يعيشه الكاتب ، فإنها تصف هذا الواقع وترسم تفاعلاته بشكل فني بديع ، واقع مركب من الواقع الأصلي (الحياة) الذي هو الأصل المرجعي وعالَم يصنعه الكاتب بخياله وجماليات اللغة الفنية ، مُحَمَّلٌ بثقافة المجتمع وما تتضمنه من أنساق ظاهرة ومضمرة .

ونحن إذا اعتبرنا النموذج الأدبي نموذجا جماليا تصوريا بعديا ، أي ينتج عن اشتغال الفكر الإنساني (المبدع) ، فتأتي القيمة الكبرى للنقد الثقافي في قدرته على التفكيك والتأويل وإعادة التركيب بحيث نكون وكأننا أمام خطاب أدبي جديد تماما .

وبما أن الرواية ما هي إلاّ تخيّل للأفضل الذي يجب أن يكون . فأين هو هذا الأفضل ؟ يجيب عنه الناقد الثقافي حين يبحث عن ذلك النسق (المطمور ، المخبوء ، المضمر) المحجوب المختفي وراء الظاهر الذي لا يُعبر عنه بأشكال معروضة ومستهلكة كما تقول " نتالي ساروت NATHALIE SARRAUTE ".

[1] . نجيب محفوظ ، " السراب " ، ص 40 .

2 . التحليل الثقافي :

صوّر نجيب محفوظ من خلال فصول من الرواية تهاوي المواطن المصري وتتابع نكساته تقول زهور ونيسي : " ظروف الكتابة لا يمكن فصلها عن وضع الثقافة في الوطن إذ كل شيء يتأثر بغيره من المواضيع والمجالات الأخرى "[1]

ورواية نجيب محفوظ " السراب " التي كتبها سنة 1948 م. فريدة من نوعها في المسيرة الكتابية لمحفوظ . إنها رواية نفسية تكشف عن كبْتٍ عاشه المصري في مجتمعه تلك المرحلة . حاول فيهذه الرواية أن يسلك منهج التحليل النفسي للبطل على نظرية " فرويد ".

وليسهل علينا البحث ، نحاول تعريف المصطلحات الموظفة في هذ العمل البحثي .

3 . جدلية الفعل واللا فعل :

تتمثل في هذه الرواية في شخصية " كامل " . والنسق المضمر هنا هو تردد المجتمع في قبول الجديد الذي هو معجب به ، ولكنه في اللاشعور يخافه لأنه مجهول . لعله يكون سرابا لا يناله .

- فالفعل الرواية : الجرأة ومحاولة التخطي من كامل .
- واللا فعل : الجمود والثبات ، والاستكانة والخمول .

- **التردد في شخصية " كامل " :**

قد يكون نسقا سياسيا (إرادة الهيمنة) . فخوف كامل وتردده ، وَسْوَسَةٌ تبثها السلطة في الشعب لتمارس هيمنتها . فتصبح كل طموحاته سراب .

أ . فالظاهر : تردد " كامل " وخوفه .

ب . والمضمر : إرادة الهيمنة من السلطة .

---

[1] . بشير بن يخلف ." الكتابة متعة المعاناة في البوح والامتاع " ، الحوار المتمدن ، الغدد 1615 ، 2018/07/18 . ص37 .

– وقد يكون المضمر : الكبت والحرمان " ... لم يكن لي مهرب في البيت (مصر) إلاّ الشرفة (الضيق) ، وهي تطل على فناء البيت (العالم) .

4 . الأنساق الثقافية في الرواية :

إن الغوص في أعماق الرواية ، واستبطان أنساقها المضمرة المتسترة وراء فجوات النص الروائي (السراب هنا) يمكن من الأبعاد المعرفية ، وحقيقة المجتمع المصري وفي فترة زمنية ما كان محكوما فيها بأعراف وتقاليد هي من مكونات نسيجه الاجتماعي والسياسي المتنوِّع الأصول والديانة : العرب ، والأتراك ، والأقباط . وفي تتبعنا للأنساق الثقافية في هذه الرواية ، تناولها حسب نوع النسق .

4 . الأنساق السياسية .

يصنف الباحثون في دراسات النقد الثقافي الأنساق السياسية إلى أنواع منها :

4–1. نسق العشيرة :

يتجلى في الأتراك وعاداتهم داخل المجتمع المصري . فهم أقلية ولكنها فاعلة اجتماعيا .

4–2. النسق الوراثي :

أصول كامل التركية ، وامتلاكهم للأراضي والمنازل الفخمة والخدم والشعور بالتعالي .

4–3 . نسق الذكورية :

تحكم الرجل في المرأة (أم كامل زوّجَها أبوها من خمّار عاطل عن العمل جاهـــــــل دون استشارتها . وأعادها لطليقها عنوة) .

4 –4 . النسق الاقتصادي :

يكشف عن وجود طبقة تستولي على المال وأخرى ضعيفة مستغلة (حراس المنول ، سائق الحنطور) .

4-5 . نسق ديني نفسي :

ممارسة كامل العادة السرية خطيئة يعاقب عليها الدين ، وهي في الوقت مرض نفسي (نقائص اجتماعية لم يتمكن التخلص منها) .

. كذلك إن " السياسة نسق ثقافي يتمثل بفعل وظيفي سلطوي ، ينطلق من موقعها القانوني أو العرفي/ الاجتماعي ، في التزام وارتباط الناس بها . لهذا يحدد (بارسنز) فعل السياسة بقدرتها على اتخاذ أو سن القوانين والقرارات الملزمة التنفيذ من المجتمع الذي يعني اعترافهم بها ودعمهم لفعلها، بالتطبيق والانصياع ، لقوانينها وقراراته "[1] .

– إن علاقة السياسة والأيديولوجية بالمجتمع علاقة بيولوجية ثقافية . فكلاهما . السياسة والمجتمع . مرتبطان معا ، لحاجة أحدهما للآخر، وقد يكون وجود أحدهما سببا لوجود الآخر، مع أن المجتمع أو الإنسان اسبق من وجود السياسة ، وأن السياسة كأيديولوجية وجدت لتحقيق وتلبية حاجات المجتمع "[2] .

إن هذه الرواية غنية بالأنساق السياسية نظرا للحالة الفترة السياسية التي عبر عنها الكاتب .

. ومن الأنساق السياسية وجدنا :

4 – 6 . نسق العنف السلطوي .

عندما تستبد السلطة وتفسد سياستها ، يستوجب على الشعب تقليمها وتطهيرها من المفسدين . عبّر عن هذا نجيب عن رفض النظام آنذاك بقوله : " ألسنا نهذّب الأشجار فنبتر ما اعوجّ من أغصانها وفروعها ؟ فلماذا نبقي علة من لا يصلحون للحياة من أفراد الناس ؟ لماذا نتسامح بل نهمل فنفرضهم على الحياة نرفض أو نفرض الحياة عليهم كرها ؟

---

1 . نيكولاس لومان ، " مدخل إلى نظرية " ، ، تج ، يوسف فهمي حجازي ، منورات الجمل ، ط1 ، بغداد سنة 2010 .37-35

2 . نفسه ، ص 35.

لهذا يسعون في الأرض غرباء مذعورين ، وقد بلغ الذعر منهم أحيانا أن يخبطوا على وجوههم كالمحمومين فيدوسوا بأقدامهم المتعثرة ضحايا أبرياء "[1] .

وعن نسق العنف السلطوي والتخويف المضمر تحت الظاهر ، يقول نجيب محفوظ : " ... وراح المدرس الشيخ يفتح العام الدراسي بالإرشادات التقليدية الخاصة بالنظام ، وعدم الحركة والكلام . ... أيقنتُ أنني دخلتُ سجنا ... عد إلى قمطرك ، عمَى في عينيك "[2] . ونضاف إليه محاولة والد كامل قتل أبيه ففشل . فما القراءة في هذه الفقرة ؟

– ففي قوله " عدم الحركة " : يختفي الأمر بعدم الخروج على النظام بالتظاهر أو الاحتجاج

وفي " عدم الكلام " لا معارضة كتابية ولا خطابية .

– أما كلمة " ... سجنا " فتفيد تقييد الحريات .

ويتمظهر العنف السلطوي والقمع كذلك في قولـــه : " ... عدْ إلى قمطرك . عمى في عينيك "، و " يا لها من امرأة جسور . بوسعها أن تفعل ما تشاء بلا خوف "[3]

– أما محاولة قتل كامل لأبيه الذي هو أيضا حاول التخلص من والده فتعني التمرد ومحاولة أخذ الحق بالقوة (الميراث) . غير أن التسرع سبب الفشل في كلتا الحالتين فكانت النتيجة الإحباط النفسي والتيه والهروب إلى الإدمان على الخمر وحبس النفس في البيت (السراب) .

ونرى في سخرية الطلبة من كامل لما سمعوا اسم " رؤبة لاظ " ، انفصاما في المجتمع المصري . حيث هذا الاسم غريب ، ويوحي بوجود طبقة اجتماعية دخيلة لا ترتبط بما يجري من أحداث في المجتمع بالمصري ، خاصة وأنها ذات سيادة سلطوية .

---

[1] . نجيب محفوظ ، " السراب " ص 3 .

[2] . نفسه ، ص 13 .

[3] . نفسه ، ص 126 .

هذا يحيلنا إلى أن هذه الطبقة الحاكمة لا تنتمي إلى هذا الوطن الذي يئن أفراده المطحونون تحت الفقر والهيمنة السياسية ، لا يهمها سوى مصالحها لشخصية .

جسّده الكاتب في محاولة والد كامل دسّ السم لأبيه استعجالا للميراث . وبشكل قريب فعل كامل لما رفض والد منحه ما يؤمن به الزواج ن رباب .

ونرى في محاولة كامل التخلص من سلطة الأم وهيمنتها ، والهروب إلى الشارع واللعب مع أطفال الجيران (النسق الظاهر) صورة لحدة الخلاف بين السلطة المصرية والحكومة البريطانية حول تقرير المصير، والمظاهرات الشعبية التي تطالب الحكومة الفاشلة بالاستقالة

– والنتيجة : تمرد كامل على أوامر أمه القاضية بعدم الخروج من البيت وهروبه للعب يعبر عن غليان الشعب المصري ، وتحامل الأطفال عليه ضربا هو القمع السلطوي عليه . وهذا هو النسق السياسي المضمر .

4 – 7 . ثنائية السكون والحركة :

1 . **السكون :** مجسد في خجل وخوف كامل لاظ وانطوائه على نفسي . مقابل " الحراك " الذي كان يعج به الشارع المصري بمظاهراته .

2. الجمود :

ما أصاب المفاوضات مع البريطانيين في مسألة تقرير المصير ، ويقابله برودة العلاقة بين رباب وكامل وبداية نهايتها بينهما . تماما كما هو نهاية وتحلل وتلاشي السلطة العثمانية بمصر .

ومما هو نسق سياسي أيضا :

4 –8 . الجوسسة الداخلية :

– الطبيب : ويمثل الجوسسة البريطانية بمصر (العملاء بالداخل) . فهؤلاء الذين تكوّنوا في الخارج من المصريين قد تدسّهم بريطانيا لتستمر بهم في البقاء والهيمنة غير المباشرة .
– بينما تمثل رباب التعامل الداخلي مع المتآمرين مع الخارج . أولائك الذين عجزوا عن تحقيق رغباهم بالطرق السوية (عدم الإنجاب مع كامل) . فخيانة الطبيب أمين لكامل بعد أن عرف سره ، هي خيانة لمصر الجميلة اليافعة .

– وكذا سلطة التجسس الداخلية التي عبّر عنها نجيب في مراقبة كامل لزوجته رباب .

4 –9 . السلطة المهيمنة :

أم كامل : هي السلطة المهيمنة التي زرعت الرعب في كامل ، وحال دونه ودون حريته وبذرت فيه هاجس الخوف من كل شيء ، إلى أن تحول الخوف إلى فاشل في كل شيء . فكانت حياته سرابا . هذه الأم العبء الثقيل على كاهل كامل الذي لم يقو على إلقائه مِن على ظهره ، والتحرر من ثقله ، إلا بعد فوات الأوان (موت رباب) .

4 – 10 الطبقية الاجتماعية :

وتبرز في درجات . فللطبقية الراقية المحظوظة حانات في شوارع خاصة ، وللطبقة للدنيا حانات في أحياء شعبية بسيطة .

4 – 11 . الانتهازية سياسية .

عبّر عن هذه الفئة الاجتماعية الانتهازية التي تستغل العامة بزملاء العمل لكامل الذين استغلوا وضعه النفسي وجعلوه يقوم بعملهم بدلا عنهم . وهذا يخفي وراءه الطبقة الاستغلالية

في المجتمع التي تستثمر في الغباء والغفلة لتعيش هي ، وتكتنز الأموال فتعيش في رفاهية وبذخ مفرط .

4 – 12. **العجز السياسي :**

ما لم يقدر عليه كامل في الظاهر مع زوجته (الممارسة السياسية المباشرة) عوضه بالمعارضة السرية (الممارسة الجنسية غير الشرعية) لأن المعارضة السرية خفية ، وقبيحة في نظر السلطة المهيمنة .

4 – 13 . **الممارسة السياسية :**

لقد استفاد الطبيب أمين خبرة سياسية داخل مصر حيث كان متأثرا بالثورة الوطنية وخارجها أيام دراسة الطب . " ... على أنه استطاع رغم ذلك أن يخبر عن كثب متانة الأسس التي ينهض عليها بنيان الحياة السياسية وما يتمتع به الشعب من مستوى عالٍ للمعيشة ، وحرية شاملة تتناول كل شيء ... ذكّره بعهد كلية الطب والثورة الوطنية ... فعاد جبر بك يسأله : ألم تزل كما كنت وفديا متطرفا ؟ ... لقد سُجنتَ يوما بسبب الوفد ... وها نحن على أبواب انتخابات جديدة ، لعل الرياح تهب هناء ورخاء "[1] .

ففي هذا الجزء من الرواية نقلنا نجيب محفوظ من الظاهر إلى المخفي . الأوضاع السياسية الفاسدة ، الثورة وحركة حزب الوفد ، التعجيل بتغيير النظام السائد . هذا ما هو مضمر في سلوك كامل (العجز والتردد والخوف والهروب من المواجهة : العلاقة الشرعية إلى الغادة السرية إلى البغاء مع عنايات إلى الخمر وارتياد الحانات) فساد يعجّل بالإصلاح الاجتماعي المنتظر بعد نهاية الصراعات الداخلية : موت رباب ثم الأم ...

[1] . نجيب محفوظ " السراب " ص109 .

4 – 14 الركود السياسي .

وعبّر نجيب محفوظ عن الركود السياسي لشعب مخدّر بقوله " ... نِمتُ دهرا طويلا عن دنياي "[1] . شعب لا حراك ولا معارضة ، وإنما استكانة واستغلال .

– والنسق السياسي الذي نراه في رفض معاشرة رباب لكامل لما ذهب ما كان به من العجز الجنسي " ... لنعدْ كما كنا ؟ ... كانت حياة طيبة ...ولكني أهفو لحياتنا الماضية . كانت حياة طاهرة سعيدة ... "[2] . ألا يكون رفض رباب هو رمز لطبقة في المجتمع ترفض الماضي العاجز (كامل) والأمل في الجديد (الطبيب) . ولكنه كان أملا بلا تحفظ فضاع الأمل وصار سرابا .

هذه بعض الأنساق السياسية التي وقفنا عليها في هذه الرواية ، وحاولنا قراءة ثقافية لها لكشف المضمر منها ، لفهم أعمق للمتن الروائي .

4 – 15 الغليان الشعبي :

وللتعبير على الغليان الشعبي المضمر والمختفي قال الكاتب على لسان كامل : " يطالعني روح عداوة وبغضاء من الجو المحيط بي "[3]

4 – 16 . الثورة والانفصال على الماضي :

الظاهر كامل يخاطب أمه ، والمضمر الكلام موجه من الشعب إلى السلطة " ... انتهى الماضي بخيره وشره ، ولن أعود إليه ما حييتُ "[4] .

---

[1] . نفسه ، ص 152 .

[2] . نفسه ، ص 113 .

[3] . نجيب محفوظ ، " السراب "، ص 17 .

[4] نفسه ، ص 152 .

5 . الأنساق الاجتماعية .

5-1 . بين المحافظة والتمدّن .

بشيء من التأمل في أنساق الرواية نرى أن :

– أم كامل تمثّل المحافظة . رأت أن رباب لا تصلح زوجة لولدها لأنها تخرج سافرة بلا حجاب " مدرّسة ! إن بنات الأسرة الطيبة لا يشتغلن مدرسات . والمدرِّسة عادة ما تكون دميمة ، أو مستهترة مسترجلة ... " وأن أسرتها طارئة على الحي (دخيلة على المجتمع) .

– في حين نرى رباب مثّل به نجيب محفوظ للمدنيّة : تحمل شهادة عالية ، وخريجة معهد التربية العالي وموظفة حرة تخرج بلا حجاب .

وإن التضاد بين المحافظة (الأم) والتمدّن (رباب) يصوّر الصراع الاجتماعي والتفاوت الفكري ، وهو سبب فشل كامل في حياته التي تحولت إلى سراب في كل شيء ، حيث أنه لم يستطع التوفيق بين التليد (الأم) والطريف (رباب) " ... فعند حبيبتي كان يطاردني طيف أمي . وعند أمي كان يخيفني طيف حبيبتي " .

وعليه ، فمن الأنساق الثقافية الاجتماعية في الرواية نذكر:

5 . 2 الموروث الاجتماعي :

تعيش الشعوب المتخلفة عادات وتقاليد متوارثة تكتسي بمرور الزمن هيمنة تتغلب حتى على العلم ويصعب التخلص منها. والواقع المعيش يؤكد هذا ، حيث نجد أشخاصا بشهادات جامعية عليا بسلوك متدنٍ .

ففي هذه الرواية نجد المعلم يخاف أن تصيبه العين : " ... كان مدرسنا الشيخ يروق له أن يشرب كوبا من العرقسوس في أثناء الحصة الأولى . فكان إذا تناول الكوب يأمرنا بالوقوف وبإدارة ظهورنا له حتى لا يصيبه مكروه من أعيننا النهمة ... إيه يا سيد أمك "[1] .

5 . 3 ـ الحداد على الأموات .

ومن العادات الاجتماعية المهيمنة الحداد على موت الأقرباء لمدة طويلة ، خلافا للإسلام الذي يقول : [لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أيَّامٍ ، إلَّا علَى زَوْجِهَا أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وعَشْرًا][2] . وهذا الحديث يبيّن أنّ مدة حداد المرأة . ومنه الرجل وكل الناس . على ميّت للأسرة هو ثلاثة أيام .

– ولكن أم كامل تفعل غير هذا . تقول لابنها : " إن أخوف ما أخاف عليه أن يقال عنك أنك خطبت ولما ينته الحداد على أبيك كأنك كنت ترصد موته على لهفة ... لن يتم الزواج على أية حال قبل مضي عام " }[3].

5 . 4 . احتقار الطبقة الدنيا في المجتمع :

عقدة الاستعلاء التي تعيشها الطبقة الميسورة في كل المجتمعات . فينظر الأثرياء إلى مَن دونها نظرة احتقار . فالأم تخوّف ابنها من أن يصبح عاملا بسيطا في المستقبل إن لم يتعلّم ويتحصّل على شهادة عليا . " وماذا يبقى إذا هجرت المدرسة إلا أن تشتغل بائع فول أو كمساري ترام "[4] .

---

[1] . نجيب محفوظ " السراب " ص 14 .

[2] . صحيح البخاري ، المجلد الثالث ، دار الفجر للتراث ، ط 2 ، سنة 2010 ، رقم 5339 ، ص 498 ..

[3] . نجيب محفوظ " السراب " نجيب محفوظ " السراب "ص 80 ، 81 .

[4] . نجيب محفوظ " السراب " ص17 .

– وهناك طبقة اجتماعية مستضعفة معزولة اجتماعيا ، حتى أن لهم مقاهي خاصة وتسمية خاصة . إنهم النوبيون . " ... ذهبتُ إلى قهوة النوبيين[1] ... " .

– وهذا يضمر نظام التفاوت الاجتماعي في ذلك الوقت .

5 . 5 . الحسد والغيرة :

إذا اتسعت الهوة بين الطبقات الاجتماعية ، نبت الحسد والغيرة ، وربما آفات اجتماعية أخرى . وما سخر التلاميذ من كامل إلاّ لأنه ينقله الحنطور إلى المدرسة دلالة على يُسْر حاله المادي . وانتمائه إلى الطبقة المحظوظة اجتماعيا . لذا اعتبرت أمه هذا التصرف منهم غيرة وحسدا . قالت : " ... إنهم يَنْفسون عليك أدبك الكامل ، والحنطور الذي يحملك بينما يتسكعون على أقدامهم ... " .

5 – 6 دونية المرأة :

يتبادر إلى الذهن هنا السؤال التالي : لماذا لا يخلو انتاج أدبي من حضور المرأة الظاهرة ؟

والجواب : أن المرأة النموذج في الخطاب العربي لصيقة بالرجل . وهي نوعان :

1 . المرأة القريبة ، الأم ، الزوجة .

2 . المرأة البعيدة ، العشيقة ، المومس .

3 . وقد تكون من الممتلك للرجل .

لذا لم يستطع الإنتاج الأدبي الاستغناء عنها . المرأة كانت ولا تزال في المجتمعات العربية . وحتى الغربية بتفاوت . دون الرجل في كثير من الأمور الاجتماعية التي لم يحددها الدّين . لا يخطبها الرجل إلاّ عبر ولي مثلا كما قالت رباب لكامل : " ... لست أنا الذي

[1] . والنوبيون (السود . الطبقة الدنيا في المجتمع) من الشعوب الأصلية في إفريقيا يكنون منطقة تمتد على ضفتين النيل إلى أقصى شمال السودان .

أُخاطَب في هذا الشأن " ص[78]. فالمرأة إذن : . حكمها المرأة بيد وليها (الرجل) : والدا كان أو زوجا .

5 . 7 . الوضعية الاجتماعية مطلوبة عند الزواج :

ليس الجمال والبهاء ما يطلب عند إرادة الزواج ، وإنما الذي يراعى ما يحدده الدّين والأخلاق في الإسلام ولأجله تطلب المرأة . أما في بعض الأعراف الاجتماعية فمختلف كما هو عند أم كامل . فأم كامل تنبه ابنها أن المطلوب ليس الجمال فقط ، بل الحسب ومكانة عائلتها الاجتماعية ، لأن الزواج ارتباط بين عائلتين وليس بين فردين فقط ، وكذا والأخلاق " ... لعل وجهها أعجبك ؟ هذا شيء لا وزن له . المهم أن تعلم أي فتاة هي ؟ وأي قوم أهلها ؟ وما مكانتها ، وما أخلاقهم ؟ الشاب في الواقع يتزوج من أسرة لا من فرد . وينبغي أن يطمئن قبل أن يخو الخطوة الأخيرة إلى مَن سيغدو أُما لأبنائه ، ومن يكونون أخوالا لهم "[1] .

5 . 8 . الصراع بين الزوجة رباب وحماتها .

ظاهرة لم تتخلص منها الأسرة العربية خاصة إلى اليوم وهي التناوش بين زوجة الابن وحماتها . وهذا ما يعقد حياة الزوج نفسيا . يقول كامل في وصف هذه العلاقة المتوترة : { " ... وكانت على دماثتها ورقتها تنقلب على أمي كأي امرأة من النساء انفعالا وغضبا فكانت لا تفتأ تقول لي : لشد ما تكرهني أمك " ... إن زوجتك تكرهني . هذا كل ما عناك " " ... فنظرت نحوي بغرابة وقالت لي بهدوء ويقين : إن زوجتك تكرهني وبالتالي فهي لا تود بقائي في البيت ، وقد ظننت أن ما توده زوجتك ينبغي أن توده أنت " . " ... لا يجمل بك أن تسمح لزوجتك بقضاء كل هذا الوقت خارج البيت ... " .

[1] . نجيب محفوظ ، " السراب " ص 80 .

– شعور الأم بأن ابنها ضاع منها ، واستولت عليه زوجته " ... لو كنت لسان دفاع لي كما أنت لها لما احتقرتني وسبتني ... " }[1].

هذا الصراع بين الزوجة وحماتها يضمر صراعا بين جيلين في المجتمع . صراع على التسلط والهيمنة .

5 . 9 . التفكك الأسري :

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)[2] . قد لا يقع الانسجام الأسري لأسباب ، وقد تتوتر العلاقة بين الآباء والأبناء فتتشتت الأسرة . وهو حال عائلة كامل الكبرى . وهذا نسق اجتماعي مؤلم .

فأسرة لاظ الكبرى : الجد كامل يطرد ابنه الذي حاول قتله ، وحرمه من الميراث . وكامل يتمنى موت والده ليستولي على ماله ، وأم كامل تطلق مرتين . وابنتها تهرب مع زوجها لما رفض والدها الخُطّاب مرات .

ألا يكون هذا نسق الصراع الاجتماعي مضمرٌ ، اختفى وراء هذا التشتت الأسري

5 . 10 . نسق التصدع المجتمعي (الخيانة الزوجية) .

عندما تفقد الأسرة أهم مقوم فيها وهو الثقة المتبادلة ، والتغلب على النفس ، ومعالجة الطارئ بحكمة ، تظهر أشياء ، ويقع الانحراف . تمّت العلاقة العاطفية بين كامل ورباب بصدق أولا . ولكن أمورا أخرى لازمة افْتُقِدت ، فسببت كوارث ومأسوية .

بدأ الخلل الأسري بخطاب مجهول وكأنه نذير شؤم ، وانته بجريمة قتل غير متعمدة . " ... كأنه نذير شر مجهول يتجمّع في أفقي المكفهر ..."[3] .

---

[1] . نجيب محفوظ ، " السراب " ص 105 ، 106 ،107 .

[2] . سورة التغابن الآية 14 .

[3] . نجيب محفوظ ، " السراب " ، ص 114 .

وتُسبِب العلاقة غير الشرعية بين الطبيب النفسي وبين رباب موتها بعد أن أجرى لها الطبيب نفسه عملية لإجهاض حملها منه ، ومحاولة لإخفاء خطئه .

وهذا يعبر عن وعي مباشر من نجيب محفوظ أن القيم الحديثة ، غير قادرة وحدها أن ترسم مستقبل مصر لأنها لا تنسجم مع المعتقد والعرف الاجتماعي .

– فالنسق المضمر هنا هو أن الوافد من الخراج ، إن لم يتكيّف مع الموروث لينتج الجديد مآله الموت . جاء الطبيب بفكرة المصاحبة المعاشرة غير الشرعية (AMANT) الدخيلة فلم تفلح .

5 . 11 .نسق الفرد المقهور :

ومن الأنساق الاجتماعية التي تناولتها الرواية حالة الفرد المقهور اجتماعيا وتمثل هذا في شخصية " كامل" الذي عاش تحت سلطة والدته مسلوب الإرادة ، فكان حظه من الحياة الانهزام ، وتحولت كل محاولاته إلى سراب .

5 . 12 . نسق الموروث والتقاليد .

وظف نجيب محفوظ الموروث الثقافي والعادات والتقاليد ليبرز ما تخفي تحتها من أنساق مضمرة . فاستخدم الكلمات الدارجة المصرية مثل: الحانطور، القلة ، الوابور ، السلاملك الباشجويش ، دلالة ، دورق ، وقومسيون التي تخفي وراءها التعالي الارستقراطي للطبقة المميزة اجتماعيا والتي تنتمي لأصول تركية ، والتي هي من بقايا الثقافة العثمانية . كما وظف الأمثال الشعبية : " يا فرحة أمك بك " ويقال للسخرية .

5 .13 . اللجوء إلى الشعوذة والعرافين :

ضعف الإيمان ، والوسوسة النفسية ، وضغط المحيط أمور تفقد الثقة في النفس . إلى جانب التقاليد البالية المهيمنة على المجتمع فتلجئ إلى الكهانة . إنه حال كامل الذي راح يستقريء العرّاف طالعَه كمتنفس له . " ... عند ذاك شعرت بحاجتي إلى مرشد أقص عليه

وأصغي إليه ... "[1] . " ... وقد وقع بصري ... على رمّالٍ ممن يستطلعون الغيب . إني أؤمن بهؤلاء الناس إيمان أمي بهم ... واقتربتُ منه على حياء وسألته أن يقرأ لي الطالع "[2]

5 . 14 . الحزن على الميت :

إن المورثة والعادات الاجتماعية سلطة اجتماعية غالبة في كثير من الأحيان . ومنها : – تأخير أفراح الزواج إذا طرأت وفاة . " ... ألا يحسن بك أن تؤخر الشروع في الخِطبة حتى يحول الحول على موت أبيك ... لن يتمّ الزواج على أية حالة قبل مضي عام ..."[3] .

5 . 15 . الطيُّرة :

عادة جاهلية ، وبقيت متخفية في المجتمعات الإسلامية رغم أن الإسلام حاربها . قال صلى الله عليه وسلم : [لا عَدْوَى ، وَلا طِيَرَةَ . وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ . قَالُوا : وَمَا الْفَأْلُ ؟ قَالَ : كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ][4] .

ومما جاء في الرواية بمعنى التطيّر : " وكان مدرسنا الشيخ يروق له أن يشرب كوبا من العرقسوس في أثناء الحصة الأولى فكان إذا تناول الكوب يأمرنا بالوقوف وبإدارة ظهورنا إليه حتى لا يصيبه مكروه من أعيننا النهمة"[5] .

– هنا تبرز سلطة الموروث التي تغلبت على التعلم والمعرفة :

فالظاهر : العلم .

والمضمر : الجهل والاستسلام للعادات .

---

[1] . نجيب محفوظ ، " السراب " ص 118 .

[2] . نفسه ، ص 119 .

[3] . نفسه ، ص 81 .

[4] . صحيح البخاري ، المجلد الرابع ، دار الفجر للتراث ، ط 2 ، سنة 2010 ، رقم 5776 ، ص 55 .

[5] . نجيب محفوظ ، السراب ، ص 14 .

هذه بعضٌ من الأنساق الثقافية التي وقفنا عليها في هذه الرواية . وحاولنا قراءتها بما يتيحه التحليل الثقافي للنصوص .

6 . الأنساق النفسية : (عقدة " أوديب ") .

من خلال قراءتنا للرواية ، نرى أن شدة تعلق " كامل " بأمه وكراهيته لأبيه إنما هو ما يعرف في علم النفس بعقدة " أوديب " والتي عادة ما تنتهي نهاية مأساوية .

وهي هنا مرض الأم ، وحنق ابنها غضبه عليها لدرجة أنه هجرها وهي طريحة فراش الموت ، ولم يلقها حتى ماتت .

وما عانى منه كامل هنا من مرض نفسي سببه **عقدة أورست** ، التي تنشأ عند الولد الذي يشب في أسرة محافظة تحرم الحديث عن الجنس ، فينشأ على تقديس أمه ورفعها عن النزول إلى ممارسة الرغبة الجنسية . فإذا تزوج أخفق في ممارسة الجنس مع زوجته عندما تكون قريبة الشبه من أمه ، لأنه يشعر وكأن ممارسة الجنس معها هو ممارسة له مع أمه . هنا يُلقي الولد باللائمة على أمه ، ويحاول الانتقام منها بشتى الوسائل والطرق ، وهذا ما حصل تماما مع بطل هذه الرواية كامل الذي كان السبب غير المباشر في قتل أمه بسلوكه اللفظي العدواني تجاهها إثر وفاة زوجته رباب . سلوك كان بمثابة الصدمة النفسية التي أفضت إلى سكتة قلبية للأم فماتت . لأنه كان لها الممد العاطفي والأمن النفسي . فلما تخلى كامل عن هذه الوظيفة المَدَدِيَةِ للأم ، انقطع نفَسُها .

6 . 1 . نسق الانطواء على النفس .

لم يستطع كامل أن يحدث أي نوع من التوافق الاجتماعي والنفسي بينه وبين العالم من حوله خارج دائرة أمه ، وهذا واضح في عدم قدرته على التكيُّف مع طلاب المدرسة ، ومع زملائه في الجامعة ، وفي العمل . لقد كان يتحاشى الناس ، ولم يكن يعرف كيف يلقاهم وكيف يتحدث معهم . يقول كامل عن نفسه : " ... وكان عجزي عن إنشاء صداقة حقيقة

مُرةٌ لا شكّ فيها . فلم أظفر في حياتي بصديق ... ولكنني شديد النفور بطبعي ، شديد الخجل محب للوحدة والعزلة ... "[1] . عزز هذا تحذير أمه من مخالطة الغير " ... إياك أن تتخذ منهم صديقا " .

ولِشِدة انطوائه أنه لم يتحمل مراسيم فرح زواجه . " لا يمكنني أن أُزَف وسط المدعوين . هذا فوق ما أستطيع "[2] . " ... الموسيقى تعزف ، والزغاريد نجلجل ، وأريج الروائح الزكية يتطاير في الجو . الموت أهون من الزواج "[3] . وفيه تضاد : الفرح ، وذكر الموت .

6 . 2 . تأنيب الضمير .

الندم وتأنيب الضمير يؤرق حياة صاحبه ، ويجعله يعيش حالة من القلق والاضطراب . كامل شك في زوجته وظن فيها الخيانة ، فكان أن أصبح هو الخائن " ... لقد تعقبتُ زوجي وبي شك في خيانتها فعدت خائنا لا شك فيه . أما هي فما وقفت منها على غير الاستقامة والاحتشام . كيف كان نصيبي منها العجز والإخفاق على حين أنني نعمت بين يدي المرأة الغليظة بهذه السعادة الجنونية ؟ "[4] .

6 . 3 . انفصام الشخصية :

عاش كامل نفسيا منفصم الشخصية . أحب رباب وتزوج منها ولكنه لم يمارس الحياة الزوجية الكاملة معها ، بينما عبثت به مومسة وحقق في الحرام ما عجز عنه في الحلال " وزاد من حيرتي أنني شعرت شعورا عميقا بأنني لا غنى لي عنهما معا . بل لم أجد سبيلا إلى المفاضلة بينهما . فهذه روحي ، وتلك جسدي . وما عذابي إلاّ عذاب من لا يستطيع أن

---

[1] . نجيب محفوظ " السراب "، ص 17 .

[2] . نفسه ، ص 90 .

[3] . نفسه ، ص 92 .

[4] . نجيب محفوظ " السراب "، ص 133 .

يزاوج بين روحه وجسده . ماذا تكون قيمة الحياة بدون هذا الوجه الجميل المتسم بالطهر والكمال ؟ ولكن ماذا يبقى لي من لذة ورجولة إذا فقدت المرأة الأخرى ؟ [1] .

ومما هو ازدواج الشخصية عند كامل أنه يحمل نفسين في ذات واحدة : نفس طاهرة ملائكية ترى في العملية الجنسية الزوجية خبثا ، وهي فكرة غرستها فيه أمه حتى إنه لم يستطع التمتع بزوجته . ونفس بشرية ماكرة انزلقت إلى المآثم شرب الخمر ، واتباع المومسات . فتصدع وانحرف .

6 . 4 . الكبت النفسي .

إن إغراق كامل في الوصف الجسدي للمرأة . وصف رباب ، وأمه وهي شابة ، وأخته . هو كبت نفسي في ظاهره ، يحيلنا إلى الكبت الناجم على سوء الوضع السياسي والاجتماعي إلى فقدان التمتع بالحياة متعة كاملة . فما لم يحققه كامل عمليا عوضه في وصف حبيبته وزوجته من بعد " رباب " وفي تلك المرأة التي مارس معها المتعة (وإن كانت دميمة) .

وخلاصة الكلام في النسق النفسي :

إن تمسك زينب أم كامل بابنها يعود إلى أنها تراه النقطة البيضاء الوحيدة في حياتها السوداء . لذا فقد أعطته كل حناناه تعويضا ، بل وبالغت حتى أفسدت ظنا منها أنها أحسنت ، حتى أنها كادت تصرفه عن الزواج لتستأثر به لنفسها .

إن النسق المضمر في الحقيقة : النرجسية وحب الذات ، وإن كان الظاهر حب الابن .

وكامل إذ يمزق صورة أبيه إنما فعل ذلك عن عقدة كراهية لأبيه مكبوتة في اللاشعور . مزق صورة أبيه تعبيرا باطنيا أن يشاركه في حب أمه . ذلك أنه لما رآه . في الصورة . جالسا إلى جانب أمه ، فلم يتحمل ذلك لأنه رآه منفسا له في حب أمه ولم يره أباه .

---

[1] . نجيب محفوظ ، " السراب " ، ص 133 .

ويتجلى شدة تعلق كامل بأمه تعلقا " أوديبيا " أنه رغم كبره لا ينام إلاّ معها في فراش واحد ، وأنه لم يستسغ أن تعاود الزواج من رجل آخر يبعدها عنه " شلت عبارة : يتزوج من أمك مسامعي . وانفجرت في دماغي ، واتسعت عيناي دهشة ورعبا وتقززا . وتساءلت : هل يعني جدي ما يقول؟ "[1] .

إن فشله في ممارسته الجنسية مع زوجته ليلة الزفاف وبعده ، يعود لحضور أمه الدائم في نفسه حتى أنه تصور مجامعة زوجه كأنه يرتكب إثما مع أمه الحاضرة في خياله " على حين بغتة انحراف ذهني إلى حجرة أمي دون داع . وتساءلتُ : ترى هل نامت ؟ هل تتخيل ماذا أفعل الآن"[2].

نعتقد أن أهم نسق نفسي في هذه الرواية هو الخوف والتردد والانطواء الذي سيطرة على شخصية بطل الرواية كامل . فهو حقا في صراع نفسي في كل حياته .

وكذا الكبت والتضييق الممارسين على كامل من أمه سببا له الانفجار والتمرد بل الانحراف . وازلق إلى المحرمات ، فتعاطى شرب الخمر متنقلا بين الحانات وهو تعبير لاشعوري لإثبات الذات ، واسترجاع حريته المسلوبة بسبب سلطة الغير .

7 . الأنساق الدينية .

للدين الأثر البليغ في كل المجتمعات ، وله سلطته التي لا تقهر ، بل تبلغ درجة الغلو إذ لم يحسن المجتمع فهم الدّين . وقد يختلط الناصع من الدين بما هو ليس منه فيفسد الاتباع الصحيح ، وتظهر الخرافات والشعوذة .

وإن بطل الرواية كامل متشبع بالمفاهيم الدينية التي غرستها في نفسه أمه منذ الصغر وهي في وعيه وفي لا وعيه . فهو يحس بالإثم وأنه اقترف الحرام عند ممارسة العادة السرية

---

[1] . نجيب محفوظ " السراب " ، ص22.

[2] . نفسه ، ص95 .

" ... ووجدتني أتردى من جديد في الهاوية التي انتشلني الزواج منها قرابة الشهر . وعدتُ وأنا لا أدري إلى أسْرِ العادة الجهنمية التي لم يعرفها زوج قبلي "[1] " ... إذا استثنيتُ اللذة السرية التي جرّعتني مرارة الذنب والندم "[2] . ويسمي حي البغايا بـ " بؤرة الفساد ".

وكما نجد الألفاظ الأخلاقية الكثيرة في الرواية دلالة على بعدها الديني في نفس كامل : شيطان ، ملاك ، جحيم ، نعيم ، إثم ، معصية .

7 . 1 . الاستهتار بالدّين .

وما لفت انتباها هو الحضور الدائم للخمر في هذه الأسرة ذات الأصول التركية رؤبة لاظ وعدم التحرج في تعاطيها " ... بل قيل له صراحة إنه شاب ذو أهواء جامحة ، وإنه سكّير عربيد . فقال إنه يعلم أنه شاب وليس براهب "[3] . وحتى في الحياة العامة إذ توجد شوارع كلها حانات " ... قلت له بصوت منخفض في حياء شديد : حانة ... أية حانة من فضلك ... سأذهب إلى شارع ألفي بك وهناك تختار الحانة التي تعجبك " . والخمر حاضرة عند والد كامل لما زاره مع جده لأول مرة ، ولما عاد إليه ثانية طالبا للمال ، وفي خِطبة رباب على طاولة المدعوين " ... وجاء جبر بك للجوقة بقنينتين من الويسكي ، وقُدمت كؤوس مترعة للآخرين "[4]

النسق المضمر هنا والذي أراده الكاتب هو استهتار الأتراك المصريين بالدّين . وهو ما سبب تمزق الدولة العثمانية وفنائها .

---

[1] . نجيب محفوظ " السراب "، ص 101 .

[2] . نفسه ، ص 50 .

[3] . نجيب محفوظ " السراب "، ص 62 .

[4] . نفسه ، ص 92 .

7 . 2 . روح التصوف .

التصوف السني : هو الجانب العملي السلوكي للإسلام ، والذي هو خير معين للمسلم المعاصر على ممارسة دينه في نقاء وطهر نفس . إنه الصفاء الذي ناشده كامل منذ الصغر وإن لم يدر . يقول : " على أننا كنا نواظب على زيارة السيدة زينب ... بل إني لأومن بكل ما كانت تؤمن به أمي ... وهيهات أن يتزعزع لإيماني بالله ورسله وأوليائه ... وماذا يلقون من شدة وعذاب وكيف تنزل عليهم الآيات نورا يذهب وحشتهم ويلطف جفوتهم "[1] . " تسبح أعيننا دمعا ، وتلهج ألسنتنا بالدعاء "[2] . " ... ورأيتني بعين الخيال أسير ممسكا بيد أمي إلى الضريح الطاهر . وذكرت يوم جاءت بي لأتوب من الذنب الذي أكاد آلفه وأعتاده "[3] .

ومن باب المصادفة أن ينتهي كامل السكير العابث الزاني ، إلى التصوف والفرار إلى الله (ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين)[4] . وكأنه ما خُلق إلاّ التصوف : " ... وإنما خُلقتُ للتصوف . ومن عجب أن وردت هذه الكلمة على ذهني بغير قصد لكن سرعان ما تشبّثتُ بها بدهشة وحيرة ... التصوف ؟ لست أدري ما هو على وجه التحقيق! ولكنه وِحدة وعزوف وتفكير . وما أحوجني للوحدة والعزوف والتفكير ... لقد خُلقتُ في الواقع متصوفا "[5] .

هكذا تنتهي رواية السراب بنسق ديني هو التصوف ، هو الفرار إلى الله واللجوء إليه وطرق بابه بعد أن سُدت كل الأبواب في وجه كامل .

---

[1] . نفسه ، ص 9 .

[2] . نفسه ، ص 16.

[3] . نفسه ، ص 119 .

[4] . سورة الذاريات الآية 50 .

[5] . نجيب محفوظ " السراب " ، ص 157 .

لعلنا نكون قد أتينا على دراسة الأنساق الثقافية في رواية السراب هذه لنجيب محفوظ في ضوء النقد الثقافي .

ومن الأنساق الثقافية في الرواية التي وقفنا عندها :

الخاتمة

وصلنا إلى نهاية بحثنا العلمي المتصل الأنساق الثقافية في رواية " السراب " للكاتب نجيب محفوظ . وهو ما اخترناه موضوعا لبحثنا هذا . وعرّفنا أن النقد الثقافي ليس نقد نخبويا وإنما هو جماهيري شعبوي شامل .

وقد استخرجنا من هذه الرواية موضوع دراستنا الأنساق الثقافية المتنوعة من سياسية ، واجتماعية ، ونفسية إلى دينية وقرأناها في ضوء النقد الثقافي . إنها الأنساق الظاهرة التي تخفى وراءها كثير من المسكوت عنه .

لم يكن الأمر يسيرا في استخراج الأنساق الثقافية خاصة المضمرة منها .

وقد أوْجد تحليلنا لهذه المدونة بعض النتائج يمكن إجمالها فيما يلي :

1 . التناسق التام بين عنوان الرواية ومتنها . فقد كانت كل حياة أغلب الشخصيات سراب لم تحقق مما رغبت فيه شيئا .

2 . كأن نجيب محفوظ أرخ لفترة الأربعينات عبر أنساق مضمرة ظاهرها المعاناة النفسية لبطل الرواية .

3 . تعرفنا على التركيبة الاجتماعية للمجتمع المصري في فترة الأربعينات والتي تكوّنت من بقية الأتراك وما احتفظوا به من عادات وتقاليد ممارسة ولغة ، حيث نجد بعض الألفاظ ملتصقة بالثقافة التركية .

4 . كذلك كشفت لنا بعض الأنساق المضمرة التي وقفنا عليها ذلك الغليان السياسي المخبوء والذي يُعد إرهاصا للثورة المأمولة .

5- وتعمقنا في أنساق الرواية . وبخاصة السياسية منها وقد أبانت عن التصدع الواقع بين السلطة الحاكمة والشعب في تلك الفترة . هذا التصدع الذي استتر وراء أنساق ظاهرة .

6 – إضافة إلى هذا استطعنا الوقوف على الموروث الثقافي، والعادات والتقاليد من خلال تصرفات الشخصيات داخل الرواية ، أو من خلال بعض ألفاظ اللغة المستعملة والتي توحي وتحيل إلى طبقة اجتماعية مميزة ، وأخرى مغلوبة على أمرها .

7– كما اكتشفنا صدق المقولة " الضغط يولِّد الانفجار " من خلال تتبعنا لتصرفات بطل الرواية من بداية حياته ، إلى اختاره التصوف منهجا لحياته في نهاية الرواية .

8 – ولما غصنا في تتبع الأنساق الثقافية في مدوّنتنا تبيّن لنا هشاشة الروح الدينية في بلاد الأزهر الشريف . عادات وممارسات سلوكية تناقض روح الإسلامِ دينِنا الحنيف . وإلاّ فكيف نفسرهذا الانتشار الساحق لحانات الخمر ؟

9 . كشفت لنا الأنساق الثقافية خبايا مجتمع تنوعت فيه الأعراق والأصول ، ورغم طول مدة التعايش لم يتحقق الاندماج .

كما نشير إلى أنه على الرغم من تجربة نجيب محفوظ الكتابة في هذه الرواية النفسية فإنه بقي وفيا للمجتمع المصري ، والطبقة الدنيا خاصة ، مما يكشف بجلاء رؤيته الأيديولوجية المناوئة للفساد الاجتماعي من خلال كشف عيوبه .

وبشكل عام ، يمكن القول وبكل قناعة ، إن ما تناولناه في مباحث دراستنا لرواية السراب يؤكد أن النقد الثقافي ، نشاط نقدي يدعم النقد الأدبي ، ويضيف للدراسات الجمالية ويدعمها وإننا وصلنا إلى فكرة : أن بين النقد الأدبي والنقد الثقافي تكامل في قراءة كل الخطابات وإثراء الساحة النقدية .

ونقول كذلك أن العمل الإنساني مهما بلغ يبقى في حاجة إلى الإضافة ، لذا فإن كان هناك نقص فهو نقص الطالب الباحث الذي يلتمس العذر .

الجمعة الأول من شهر شوال 1442هـ.

الموافق لـ الحادي عشر من شهر جوان 2021م.

قائمة المصادر والمراجع

أولا . المصادر :

. القرءان العظيم (برواية ورش عن نافع) .

1.الحديث الشريف: صحيح البخاري ، المجلد الثالث والرابع ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ط 2 ، سنة 2013 .

2.أبو الفرج قدامة بن جعفر " نقد الشعر " . دار الكتب العلمية . بيروت .

3.الخليل بن أحمد الفراهيدي . " معجم العين " . تح . عبد الحميد هداوي . دار الكتب العلمية . ج4 . بيروت لبنان . ط1 . 2003م.

4.طه أحمد إبراهيم " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري " ، المكتبة العربية ، بيروت ، 1981م1981.

5.عبد العزيز عتيق ، " تاريخ النقد عند العرب " ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة 1974م .

6.محمد بن مكرم بن منظور ، " لسان العرب " ، دار صادر للطباعة والنشر ، ج10 ، ط5 بيروت ، 2005م.

7.نجيب محفوظ رواية " السراب " .

ثانيا . المراجع :

8.عبد الله الغذامي " النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية " . المركز الثقافي الدار البيضاء ، ط3 .2005م.

9.بشير بن يخلف . " الكتابة في البوح والإمتاع " .

10.سمير خليل " دليل مصطلحات الدراسات النقدية والنقد الثقافي " . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان .

11.لويس علي ، " وجود جهود فردية ليس كافيا للحديث عن شيء يسمى نقد ثقافي " نشر بجريدة النصر بتاريخ 24-12-2018 .

ثالثا . الدوريات :

12 . إدريس الخضراوي . " السرد موضوعا للدراسات الثقافية " . مجلة (تبيّن) العدد 07 فبراير 2014 .

13. جاسم حميد جودة الطائي/ هبة محمد صكبان ." الأنساق الثقافية في أدب وادي الرافدين" . مجلة جامعة بابل . العلوم الإنسانية . المجلد 23: العدد 2015/4م

14. سعيدة تومي. مصطفى البشير قط . " المضمر النسقي في الشعر الأموي " . مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب . المجلد 03 . العدد 02 .

15 . صورية جغبوب " النقد الثقافي : مفهومه ، حدوده ، وأهم رواده " . مجلة كلية الآداب واللغات ، العدد الأول ، جامعة عباس لغرور . خنشلة .

رابعا . الفيديوهات :

16 . الخليل سمير . " فضاءات النقد الثقافي " . قناة الجامعة المستنصرية ، الرابط : https://www.youtube.com/watch?v=0f5Ut76dycI .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

1 . المقدمة 5

الفصل الأول : قراءة في الأنساق الثقافية ..... (15- 33)

توطئة 11

1- **المبحث الأول** : مفهوم النقد الثقافي 11

1 . 1 النقد لغة 11

1 . 2 النقد اصطلاحا 12

1 . 3 النقد الأدبي 13

1 . 4 الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي 13

2 - المبحث الثاني : مفهوم النقد الثقافي 14

2 . 1 المفهوم 16

2.2 . مميزات النقد الثقافي 16

2-3. نشأة النقد الثقافي..... 18

2 . 4 رواد النقد الثقافي في الأدب الغربي..... 19

2 . 5 رواد النقد الثقافي في الأدب العربي.....20

3 – المبحث الثالث النقد الثقافي : الخصاص ، الروافد ، والمرتكزات 21

3 . 1 الخصائص..... 21

3 . 2 روافد النقد الثقافي 22

3 . 3 مرتكزات النقد الثقافي 22

4 – المبحث الرابع : الثقافة والنسق الثقافي المضمر.... 24

4 . 1 مفهوم الثقافة 24

4 . 2 النسق في اللغة 27

4 . 3 النسق الثقافي 28

4 . 4 النسق المضمر 29

الفصل الثاني : النقد الثقافي : النظرية والمنهج .... (34– 58)

توطئة 34

1 . علاقة الرواية بالمجتمع 35

2 . التحليل الثقافي 36

3 . جدلية الفعل واللا فعل 36

4 . الأنساق الثقافية في الرواية 37

4 –1 . الأنساق السياسية 37

4–2. النسق الوراثي.....37

4-3 . نسق الذكورية 37

4 -4 . النسق الاقتصادي 37

4-5 . نسق ديني نفسي.....38

4-6 نسق العنف السلطوي 38

4-7. ثنائية الحركة والسكون 40

4-8- الجوسسة الداخلية 41

4-9. السلطة المهيمنة 41

4-10. الطبقية الاجتماعية 41

4-11. الانتهازية السياسية 41

4-12 العجز السياسي 42

4-13 الممارسة السياسية 42

4-14 الركود السياسي 43

4-15 الغليان الشعبي 43

4-16. الثورة والانفصال 43

5 . الأنساق الاجتماعية 44

5 . 1 . بين المحافظة والتمدن 44

5 . 2 . الموروث الاجتماعي 44

5. 3 . الحداد على الأموات 45

5 . 4 . احتقار الطبقة الدنيا في المجتمع..... 45

5 . 5 . الحسد والغيرة 46

5 . 6 . دونية المرأة 46

5 . 7 . الوضعية الاجتماعية مطلوبة عند الزواج 47

5 . 8 . الصراع بين الزوجة رباب وحماتها..... 47

5 . 9 . التفكك الأسري 48

5 . 10 . التصدع المجتمعي (الخيانة الزوجية)..... 48

5 . 11 . الفرد المقهور 49

5 . 12 . الموروث والتقاليد 49

5 . 13 . اللجوء إلى الشعوذة والعرافين..... 49

5 . 14 . الحزن على الميت..... 50

2 . 15 . الطيرة 50

6 . الأنساق النفسية 51

6 . 1 . نسق الانطواء 51

6 . 2 . نسق تأنيب الضمير 52

6 . 3 . نسق انفصام الشخصية 52

6 . 4 . نسق الكبت النفسي 53

7 . الأنساق الدينية 54

7 . 1 . الاستهتار بالدين 55

7 . 2 . روح التصوف 56

الخاتمة 59

قائمة المصادر والمراجع 63

فهرس الموضوعات 67

ملخص بالعربية والفرنسية

- **المخلص بالعربية :**

إن البحث في الأنساق الثقافية بحث يستثمر ما قدّمه النقد الثقافي من أفكار وطروحات مغايرة في فهم النص الأدبي باعتباره نصا ثقافيا في بُعده الواسع ، يحاول الكشف عن جملة من الأنساق الثقافية التي تتخذ من النص الأدبي وسيلة للمرور والتغلغل في شخصية الفرد العربي .

وهذا ما رغَّبَنا إلى البحث عن الأنساق الثقافية المتخفية داخل الجماليات السدرية في رواية " السراب " لنجيب محفوظ " والتي تتخذ من إبداعية النص ، وبارعة النسج السردي عند محفوظ وسيلة للتخفي .

وعلى هذا الأساس فهي تشكل أحد الروافد الخطيرة في تكريس بعض المظاهر الاجتماعية والفكرية والسلوكية المساهمة في قضية النمطية الفكرية .

وتأسيسا على ما سبق يسعى هذا البحث إلى استجلاء بعض الأنساق الثقافية التي حملتها الرواية .

الكلمات المفتاحية : النقد الثقافي / النسق الثقافي/ المضمر النسقي/ رواية السراب .

Résumé de l'Article .

La recherche dans les contextes culturels est une action qui exploite les données de la critique culturelle, par les idées et les thèses qui donnent une compréhension différentes du texte littéraire en le considérant comme un texte culturel dans son large étendue.

Cette critique tente de mettre en lumière le contenu implicite dans le texte par un ensemble de contextes culturels qui utilise le texte littéraire comme moyen de passage et de pénétration dans la personnalité de l'individu arabe . Chose qui nous a mené à la recherche de l'implicite contextuel dans les .

Mots clés : Implicite contextuel – contexte culturel – critique culturelle – Roman " Essarab " .